شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (٧٠) ٢٠٠٨/٨/١٥

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

تفاهم إيراني أميركي يقلق آل سعود ويخرجهم من الموسم السياسي





العقدة السعودية من إيران



صراع الأجيال السلفية:
تصنيم الدولة أو تجريمها



مفاعل بلا يورانيوم !
بؤس الإمبراطورية الإعلامية السعودية





الإغتيالات تدبير أردني سعودي

وجوه حجازية



السعودي الأكثر سعادة !

إنتقام سعودي من ذات غبيّة



الإحتفالات في الحجاز

وهابية فاسدة ومزاعم تطهّرها

هذا العدد

دولة (طقم)

ثمة خصائص متضامنة للدولة السعودية تجعل إمكانية الفصل فيما بينها مستحيلاً، إذ أن كل خاصية تعضد أخرى، وهي أشبه ما يكون بمثلث متواز الأضلاع، يضطلع كل واحد منه بوظيفة متكافئة. وقد اخترنا اختصاراً لهذه الخصائص كلمة (طقم)، أي أنها دولة: طائفية، قبلية، مناطقية، حيث تدار الدولة على قاعدة مذهبية وهابية، وقبلية سعودية، ومناطقية نجدية. وتحقق هذه المكوّنات مهمة مشتركة، إذ لا يمكن تخيّل أن تستعير الدولة القائمة من خارج هذا المثلث مكوّناً جديداً يسلب منهاا هويتها التي ولدت معها منذ النشأة.

ومن غريب أمر هذه الخصائص أنها تبطن وتطلق في الوقت نفسه عوامل مضادة أمام أي تقارب أو تعايش دع عنك اندماج مع المكوّنات الأخرى، فثمة ثقافة عميقة تؤسس لكل خاصية تحول دون المساكنة مع نظيراتها من خارج هذا المثلث المتعاضد. من جهة ثانية، تملك هذه الخصائص خاصية العمل المشترك ضمن حدود هذا الثالوث فحسب، بحيث تتأهب أفرادياً أو جماعياً بصورة دائمة لدرء أخطار التقارب، فلو ضعفت خاصية عن مقاومة مناخ التقارب مع الآخر، الداخلي بدرجة أساسية، يضطلع المكوّنان الآخران بمهمة (تفشيل) مفعولات المناخ التقاربي. على سبيل المثال، لو أن الخاصية المناطقية خضعت تحت تحدي التغيرات الديموغرافية، بحيث أصبح العنصر النجدي مهدّداً أمام النزوح السكاني، ينبري العلماء، بوصفهم ممثّلين عن المذهب الوهابي الرسمي، والأمراء بوصفهم ممثلين عن القبيلة الحاكمة، لتحصين المثلث عبر تعميم ثقافة طائفية نبذية ضد القادمين الجدد، فيما تتولى القبيلة الحاكمة سنّ تشريعات تمييزية تحول دون تمكين القادمين الجدد من الحصول على إمتيازات متكافئة كتلك التي يحصل عليها الرعية الوهابية النجديّة. والحال نفسه ينطبق على أمثلة أخرى، فلا غرابة أن ينشط علماء المذهب، والمتشدّدون منهم بدرجة أساسية وهم الأقرب الى قلب وروح وسياسة الأمراء، فور الإعلان عن مبادرة حوارية داخلية أو خارجية، فذلك تعاضد مصيري جبل عليه الثالوث لتحصين نفسه قبالة ما يصفه بالمتسلّلين.

قوة الثالوث تكمن في أن أضلاعه تشترك مجتمعة في تشكيل الذاكرة التاريخية والسياسية والثقافية للمنضوين بداخله، إلى درجة أن كل ضلع يحمل السمات الوراثية للضلعين الآخرين، كما يمتلك صفة تمثيلية عنهما أيضاً، فلا يمكّن، على سبيل المثال، تصوّر الخاصيّة النجدية بدون الخاصيتن الوهابية والسعودية، وكذا الحال بالنسبة للمكوّنين المذهبي والقبلي. وهنا يرد مثال بالغ الوضوح: أن المواقف المذهبية ذات الطبيعة الحكمية لا تستند بالضرورة إلى أسس دينية محض، بل تحرّكها أحياناً عوامل أخرى دنيوية، وتحديداً قبلية ومناطقية. ولعل هناك من يستدعي أمثلة لافتة من قبيل الإشادة المفرطة بنجد، ولي عنق الأحاديث المنسوبة إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذم نجد، بوصفها قرن الشيطان وأن منها تخرج الفتنة وإليها تعود، حيث يحمّل العالم الوهابي النجدي تلك الأحاديث على غير مرادها، بما يحيل نجد المنطقة إلى نجد الوصف، ليسقط الوصف على العراق. مثال آخر يبرزه الإكتراث المبالغ بالعنصر القبلي، حيث تخضع النخبة الدينية السلفية إلى عملية تفاضل على أساس قبلي، فيفقد من ليس نجدياً ولا قبيلياً، وإن بلغ من العلم مرتبة عليا، جزءً من صدقيته ومكانته. لا ننسى هنا الإنفراد الوهابي بين بقية المسلمين بموضوع (عدم تكافؤ النسب)، غير المؤسس على اعتبارات دينية راسخة.

السؤال ماذا يعني ذلك كله؟

من دلالات هذا التعاضد الثلاثي، أنه لا يؤسس بحال لدولة وطنية ما لم يتم تقويض الثقافة المؤسسة لكل خاصية منها، بمعنى فتح (القفل) المفروض على المذهب والقبيلة والمنطقة، بكونها خصائص الدولة السعودية، بما يمهّد السبيل لإندماج واسع لمجمل الخصائص الأخرى وصولاً إلى تشكيل دولة وطنية حقيقية.

دلالة أخرى لافتة أيضاً، أن ممثلي هذه المكوّنات يشعرون بالتحرر التام من أية مسؤولية إزاء نظرائهم في الأرض التي يعيشون عليها، ولا يجدون ضيراً في تحميلهم ما يقع عليهم من حيف وعسف بفعل سياسات تمييزية ينتجها التضامن الثلاثي، على قاعدة التجاوز، وطلب ما لايحقّ لهم، فالحقوق والواجبات هي ما يقرّره الممثلون لهذه المكوّنات، وليس دستور الدولة الوطنية.

لا غرابة، والحال هذه، في أن يعبّر الوهابي والنجدي والسعودي لفظاً أو سلوكاً عن نفوره من مفاهيم الدولة الوطنية ومتطلباتها القانونية والحقوقية، يعكسه الإزدراء من مصطلحات مثل الوطن، وتفسيراته الخاصة والضيقة لحقوق الإنسان، والحريات العامة بما في ذلك حرية الإعتقاد.

وبالعودة إلى كلمة (طقم) التي تختصر وصف الدولة ومكوّناتها، ثمة عصبية جامعة تربط بين الوهابية ونجد وآل سعود، بما يحول دون انفراطها بسهولة، فهناك لغة مشتركة لا يدركها غير المنضوين داخل الرابطة التضامنية بين هذه المكوّنات. فقد ضغط الأمير عبد العزيز بن فهد على العصب النجدي عند الإصلاحيين الدكتور متروك الفالح والدكتور عبد الله الحامد، على أساس أن الإصلاح سيمنح الحجازي والشيعي والإسماعيلي موقعاً في الدولة على حساب النجدي، وضغط الأمير محمد نايف على العصب الطائفي عند المشايخ السلفيين المطالبين بالتغيير في عقد التسعينيات (الشيخ العودة، والشيخ الحوالي، والشيخ العمر، والشيخ إبن جبرين)، على أساس أن معارضتهم للدولة سيضعفها بما يجلب الفرحة لـ(الصوفية) و(الرافضة).

يدرك الوهابي والنجدي والسعودي بأن مصيراً مشتركاً يشدّهم لبعض، وأن انكسار أحدهم يعني انكسار الركنين الآخرين بصورة متزامنة، فلا وهابية بدون آل سعود والعكس صحيح حتى الآن، وكلاهما لا يعيشان إلا على تربة نجديّة.

سياسات الإنتقام فاشلة

السعوديون ينتقمون من أنفسهم

محمد قستي

(الإنتقام) محرّك السياسة الخارجية السعودية وليس (المصالح).

لم تكن الحكومة السعودية تفتقد الحكمة في الفعل، والتواضع في السياسة، بمثل ما تفتقده اليوم، سواء كان الأمر يتعلق بإدارة الشأن الداخلي أو الخارجي. هناك صَلَف غير عادي يطبع السياسات الملكية، يعاند التاريخ وسننه، ويعاند الواقع وحقائقه، ويتمسك بقراءاته الخاصة التي بان عوارها وفشلها. صلف ورعونة بلغت مديات غير مسبوقة في تاريخ الحكم السعودي، في وقت لم تعد فيه السعودية تلك السعودية التي نعرفها، لا من جهة المكانة ولا من جهة القوة ولا من جهة القدرة على ابتداع الأفكار وتنفيذ الأفعال (القرارات).

التواضع ليست صفة ملكية سعودية على أية حال، والتراجع السياسي عن موقف ما كان يحدث في الماضي في موضوع أو آخر إذا ما تورطت العائلة المالكة في موقف خاطئ وصدامي لم تكن تسعى إليه، لكنها اليوم عكس ذلك تمشي بغير هدى، وحتى لو رأت التراجعات من حولها فهي مستمرة في المشي الى آخر الطريق تحكمها في ذلك الإنفعالات الشخصية، والهواجس الطائفية، بحيث أنها ترى نفسها غير قادرة على التعديل ولا نقول التغيير في المسلك السياسي أو تحسينه.

مثلاً، الإصرار على تخريب إتفاق الدوحة، وكيل الشتائم لحزب الله في الإعلام السعودي المعبِّر بصدق عن الرأي الحكومي، في وقت تسير فيه الدولة اللبنانية العرجاء الهوينى باتجاه ترقيع ما يمكن ترقيعه، هو أمرٌ غير مستوعب. فهل السعوديون أحرص من حلفائهم اللبنانيين على لبنان. هل هم أحرص من اللبنانيين جميعاً على بلدهم؟. لا تزال السعودية مصرة على مواجهة فريق المعارضة عبر الفتنة الطائفية في الشمال. هي تريد العودة الى لبنان ولكن ليس بطرق الثقافية ويجهد سياسي سلمي نظيف وبمشروع واضح مرغوب فيه شعبياً، بل بطريقة تدميرية تخريبية. لبنان يعيش أمراً واقعاً بعد أحداث ٧ مايو، الجميع بدأ بالتراجع، سواء كانت قوى محلية لبنانية أو حتى دولية كفرنسا واميركا وحتى إسرائيل، ولكن السعودية لم تغير، ولا نقول تستسلم، بعد أن انتهت المعركة، فهي تبحث عن إشعال حرب أخرى ليست قادرة لا هي ولا حلفاؤها - مجتمعين - على القيام بها. ومثل هذا لا يجعل السعودية الباحثة عن التشفي السياسي رابحة في المستقبل.

والسعودية أيضاً مصرّة على فتح المعركة السياسية والإعلامية ضد النظام السوري، حليفها القوي بالأمس في لبنان وفي شؤون المنطقة الأخرى، وهي تتحرك علناً على فرنسا وأميركا وحتى إسرائيل، بل والمعارضة الإنقلابية السورية، إن لم يكن في سبيل السعي لإسقاط النظام السوري، فعلى الأقل إبقاء حصاره قائماً. وهذا أيضاً أمرٌ مستغرب، فالمعركة حُسمت لصالح دمشق التي خرجت عن الطوق، وبدأت حلقات الحصار تتفكك. كل من يقرأ السياسة يفهم هذا، إلا آل سعود، الذين لازالوا يديرون (سياسات انتقام) ترتد عليهم وتكلفهم باهضاً، هذا إذا كانوا بالفعل قادرين أصلاً على (الإنتقام) لذواتهم النرجسية.

وفي الملف العراقي، كابر السعوديون ولازالوا يكابرون. لا يريدون أن يعترفوا بالنظام الجديد هناك لأنه نظام شيعي طائفي، وكأن نظامهم أحسن منه توصيفاً، حتى تكسرت الحلقات، وبدأت السفارات العربية مجللة بالخزي تعود بعد أن خسر العرب الكثير من ابتعادهم عن بغداد. واليوم لم تعد هناك أهمية كبيرة لعودة السفارة السعودية مثلما كان في الماضي، ولا الشارع العراقي - السني والشيعي والكردي - ينظر الى السعوديين إلا بعين الريبة بعد المجازر التي أقامها أفراخ الوهابية هناك كادت تقضي على النسيج الإجتماعي العراقي الى الأبد في حروب مصدّرة من عاصمة الوهابيين. وحتى إن كابر السعوديون، فقد فات القطار، وعدم عودة السفارة والسفير الى بغداد لا يعني سوى خسارة السعودية لموقعها، وتأكيد النظرة إليها كعدو له حدود طويلة مع العراق.

وتبقى إيران التي تشكل غصّة في الحلق السعودي، حيث المقاربة طائفية في اكثرها.. فآل سعود بين من يتمنى الحرب الأميركية أو الإسرائيلية على إيران، حتى يزال الصداع الى الأبد، أو حتى ينتهى من الدمّلة كما قال كاتب سعودي (مشاري الذايدي).. وبين من يخشى من تبعات تلك الحرب على صعيد حرق خيام السعوديين خاصة المنشآت النفطية إن لم يكن أكثر من ذلك ويتعلق بالشيعة في السعودية وانفجار الوضع المحلي. ومع هذا تمضي السعودية، في وقت خفف الغرب لهجته ضد إيران، قدماً في برنامجها شبه وحيدة إلا من صقور البيت الأبيض (تشيني وجماعته)، فيطير بندر بن سلطان، مستشار الأمن القومي، وعلناً، لشراء أسلحة روسية، فيما أنظمة الدفاع السعودي كلها غربية، وذلك بغية محاصرة إيران والضغط عليها. ولو كان الإيرانيون يريدون فتح معركة مع السعوديين لفتحوها منذ زمن، ولكنهم - بصبر السجاد العجمي - يشتغلون بهدوء بدون إثارة كي يحققوا أهدافهم في النهاية.

حصار إيران صعب، وكذلك مهاجمتها عسكرياً، وإن كان غير مستحيلاً، لكن ما هي مصلحة السعودية النهائية غير الإنتقام الذي قد يرتد عليها صواريخ وتوتر داخلي؟

السعودية تريد أن تسترد مكانتها (المهانة) إسلامياً وعربياً، لأن إيران، ومعها

سوريا وحماس وحزب الله، نافستها وبزّتها في ذلك وحققت مكاسب كبيرة، في حين أن السعودية، حليفة أميركا، سلكت توجهاً سياسياً آخر غير مرغوب فيه من الشعوب، وارتكبت أخطاء كبيرة في كل الأزمات ما مكن منافسيها ولا نقول أعداءها من الفوز واقتحام مناطق النفوذ. وبدل أن تسترد مكانتها الضائعة بهجوم إصلاحي سياسي في تحركها، زادت الطين بلّة وأصرت على نهجها خلاف موقف الأفرقاء الأقوياء الذين تعمل معهم (أميركا وفرنسا واسرائيل). أي أنها مصرة على (التخبيص السياسي) الذي لا يُعيد الى السعوديين هيبتهم المفقودة، ومكانتهم القديمة ومجدهم الضائع في محيطهم الإسلامي والعربي.

إذا كانت الحكومة السعودية تريد العودة الى مواقعها القديمة، فإن ذلك لا يتأتى إلا بـ:

أولاً - إعادة تقييم واقع السياسة الخارجية السعودية. ستكتشف الحكومة السعودية أنها بحاجة الى العودة الى موقعها القديم من خلال لعب (دور الوسيط) الأقرب الى الحياد في تناول القضايا المعقدة عربياً وإسلامياً. فقد كان انحيازها لمشروع غير مجمع عليه عربياً، سبباً في خروج دول عديدة وأوراق عديدة من يديها. ثم إن السعودية قد تجد نفسها ملزمة بإعادة النظر في مسألة استخدام المال في السياسة الخارجية، فلا الماضي البعيد كان صحيحاً حيث الصرف المالي لتغيير المواقف كان صحيحاً، ولا إيقاف الدعم في المجمل - كما هو الحال الآن عدا عن البعض - يفيد السعوديين. المساعدات المالية هي وسيلة للتأثير على الأطراف وتمرير الرؤى والمواقف السياسية التوافقية دون أن تفقد صفتها الحيادية (الحادّة).

ثانياً - السعودية بحاجة الى إعادة بناء الإجماع العربي، وبقدر مساهمتها فيه وفي انجاحه، يمكنها أن تستعيد مكانتها العربية. فهي - أي السعودية - ساهمت في تهديم ذلك الإجماع، وأشعلت حرباً من هذا النوع بين الدول العربية نفسها، وجعلت السعودية طرفاً. لهذا وبعد أن غاب الإجماع العربي، غاب النفوذ السعودي أو ضعف عن بعض الأماكن والقضايا. أول الأوليات المفترضة لإصلاح السياسة السعودية هو ترتيب لقاء مع القوى العربية الكبيرة: العراق، سوريا، مصر، السعودية، الجزائر، وربما المغرب أيضاً، لكي ترسم استراتيجية جديدة للعالم العربي، تحدد أولوياته وأهدافه المستقبلية. هناك اليوم استراتيجيات متناقضة، وبالتالي من المهم التوصل الى استراتيجية واحدة وموقف تجاه القضايا العامة التي تشغل العالم العربي.

ثالثاً - السعودية بحاجة الى استعادة هامش الحرية الذي خسرته لصالح الولايات المتحدة بعد احداث سبتمبر. هذا الهامش من الحرية ضروري لإنجاح موقع المملكة في عالمها العربي. السعودية اليوم لا تواجه راديكالية عربية فحسب تخالفها في بعض توجهاتها السياسية، بل أن واشنطن نفسها تضغط على السعودية لتبني مواقف عربية وإسلامية ليست في صالح السعودية ومكانتها الإقليمية، كما هو واضح بالنسبة للموقف من حماس وسوريا وموضوع السلام مع اسرائيل، وموقفها المنحاز من المتخاصمين في لبنان، الأمر الذي أفقدها الكثير من سمعتها ومكانتها. وقد قامت أميركا بتخريب كثير من الجهد السعودي السياسي، وأوضح مثال على ذلك، هو اتفاق مكة بين حماس وعباس، حيث رفضت أميركا الاتفاق وعمدت الى تخريبه. يمكن للسعودية أن تتحلى بقدر أكبر من الشجاعة في مواقفها مع اميركا، ويمكنها استخدام نفوذها المالي والإقتصادي لتحقيق علاقة متوازنة مع واشنطن يمكنها أن تنفرد بقدر من الحرية في علاقات السعودية الإقليمية، وفرض وجهة نظرها.

رابعاً - السعودية بحاجة الى إعادة النظر في مسألة العلاقة مع ايران ومع العراق. فبدون تنسيق مشترك لا يمكن ضمان أمن الخليج بصورة صحيحة. إن مقولة (أمن الخليج يوفره أبناؤه) ليست خاطئة. لقد ثبت أن المواجهة مع ايران لا تخدم استقلال وسيادة السعودية ودول الخليج الأخرى، ولا توفر الأمن المنشود. وإيران قوة كبيرة لا يمكن تجاهلها في هذا الموضوع. ومن الأفضل ان تتوصل السعودية والعراق وايران لاتفاق (تضمنه قوى كبرى: الصين والهند وتحت مظلة الأمم المتحدة كما قال سعود الفيصل ذات مرة) يضع الخطوط العامة لأمن الخليج، ذلك أن التواجد المكثف للبحرية الأميركية والقواعد الأميركية في الخليج، خطر (استراتيجي) يهدد السعودية بقدر ما يهدد إيران نفسها. والأهم أنه لا يوفر الأمن للخليجيين والإيرانيين والعراقيين عموماً.

خامساً - استهلكت السعودية خلال العقدين الماضيين الكثير من سمعتها ومكانتها في العالم الإسلامي لصالح الحركات الإسلامية ولصالح إيران. ولا يمكن للسعودية أن تستعيد مكانتها إلا بمراجعة صادقة للتحولات في السياسة الخارجية السعودية، وما إذا كانت تلك السياسات خدمت السعودية وحلفاءها في واشنطن أم لا. وإذا كان الجواب بـ: لا، فإنها تستطيع أن تكون قوة اعتدال اسلامية بدون فتح جبهات مع عشرات من القوى الصغيرة والكبيرة، لا تخرج السعودية منها إلا بالضرر في سمعتها مجروحة في مكانتها كما هو الحال الآن.

سادساً - هناك فرصة للسعودية لتقوم بتعديل سياستها الخارجية، وذلك مع احتمال كبير بمجيء رئيس ديمقراطي، الذي سيقوم هو الآخر بمراجعة لسياسات واشنطن، وكما فعلت باريس حتى الآن أيضاً. وبالإمكان التنسيق مع واشنطن وإقناعها بأن (سعودية قوية) في محيطها الإقليمي، أكثر فائدة من زجّها في صدامات ومعارك آنية تريدها واشنطن، فتكون الخسارة مضاعفة للطرفين.

نعلم أن آل سعود لا يسمعون، ولا يقيمون، ولديهم بطء في الحركة والفهم أيضاً، ما يجعلهم بعيدين جداً عن مراجعة أنفسهم وسياساتهم خاصة لدى الجيل المعمر الديناصوري القائم والحاكم. هذا الجيل اعتاد استخدام وسيلتين سهلتين في عمله: الوهابية التي كانت ولاتزال تنشط للقمع في الداخل، فأوكلت لها اليوم مهام في الخارج (تخريبية) لصالح السياسة السعودية لم تؤد حتى الآن إلا الى إضعاف سمعة الدولة وشعبها؛ وهناك المال الذي يعتقد آل سعود أنه يحل كل مشاكلهم، وهذا من أتفه القول. المال عامل مساعد وقد يكون حاسماً إذا ما توفرت الرؤية الصحيحة، فكثرته لا تدل على تثميره سياسياً بالشكل الصحيح. وها هي السعودية أنفقت في العراق وفي لبنان الكثير من المال، ولكنها لم تجن شيئاً ذا بال كمحصلة نهائية، لأن الكثير من المال يخرّب الحلفاء وضمائرهم ولا يفيدهم في معاركهم، بل قد يتحول الى وسيلة إضعاف لهم ولنفوسهم ولجماهيرهم. وكم من المال السعودي ذهب الى غير موضعه، نظن أن أكثره ذهب في غير موضعه.

مخاوف الرياض من تفاهم إيراني أميركي

قلق الخروج السعودي من الموسم السياسي

محمد السباعي

ماذا لو قررت واشنطن فتح قنوات الحوار مع طهران؟ وماذا ستخسر الرياض التي لا تملك سوى قوة مالية يضعف جهازها الدبلوماسي عن إدارته بصورة صحيحة، فضلاً عن استخدامه كورقة ضغط من أجل تحقيق مكاسب سياسية محددة؟ حتى الآن، يجري توظيف المال النفطي في خدمة السياسة الغربية، بالرغم من خساراته الفادحة إقليمياً، فكل خسارة أميركية على المستوى السياسي ينعكس مباشرة على السياسة السعودية، وبالتالي يشكّل خسارة إقتصادية، وحتى الآن لم ينجز المال النفطي مكسباً لافتاً ما خلا بعض (التشويش) في ساحة هنا وموقع هناك.

يراقب كثيرون سيرورة المباحثات العلنية والسريّة التي تجري بين واشنطن وطهران وانعكاساتها على الأوضاع السياسية في المنطقة من أفغانستان وصولاً إلى لبنان. كان الدور الإيراني الفاعل في تسوية مشكلات ما بعد سقوط حكومة طالبان قد شكّل أول دليل على كفاءة الدبلوماسية الإيرانية، ثم جاءت اللقاءات الثنائية المثمرة للبحث في الملف الأمني العراقي ليبعث قناعات بائتة بضرورة تطوير علاقة من نوع وثيق مع طهران في مرحلة لاحقة بالرغم من الإرجافات السياسية في العلن بشأن الملف النووي الإيراني.

بمرور الوقت، ثبت أن طهران تلعب دوراً مركزياً في ملفات المنطقة، بالرغم من الضغوطات المتراكمة ضدها للحد من نفوذها الإقليمي، ونجحت إيران في إقناع الغرب عموماً والولايات المتحدة على وجه الخصوص بأن العامل الإيراني أساسي في النظام الإقليمي، وثمة ضرورة لتثميره في تحقيق الإستقرار. هكذا بدت نتائجه المقنعة في أفغانستان في سنوات سابقة وظهر مؤخراً في العراق ولبنان.

محاولات الرياض، وتحديداً منذ بدأت المباحثات الأميركية الإيرانية حول الأوضاع الأمنية في العراق لم تسفر عن تقليص للدور الإيراني في العراق، بل ازداد الأميركيون قناعة بأن لا إستقرار قابل للديمومة دون تعاون فاعل من الجانب الإيراني.

مراكمة الضغوط الدولية من قبل السعودية على إيران خلال الأعوام الثلاثة ساهمت في توليد إنطباعات جديّة بأن المال السعودي صالح للإستعمال الظرفي، ولكنه بالتأكيد يعجز عن صنع تغيير، وحتى العمليات التخريبية التي دخل فيها المال السعودي لزعزعة حكومة نوري المالكي عن طريق تمويل تنظيمات سنيّة وشيعية تهدف إلى إشاعة الفوضى وتصديع العملية السياسية تنتهي دائماً إلى نتائج عكسية، حيث تتعزز أسس الحكم الجديد في العراق، وتتراجع فرص سقوطه.

الحال نفسه ينسحب على لبنان، حيث أن المال السعودي الذي تم إغداقه بسخاء، كشف عن حجمه مسؤولون إسرائيليون وقدّروه بنحو ١٢ مليار دولار خلال العامين الأخيرين تم إنفاقها على حلفاء السعودية سجّل إخفاقاً ذريعاً في الواقع السياسي، وخرجت الرياض بخيبة أمل بعد السابع من مايو ومتوالياتها (مؤتمر الدوحة ونتائجه العملية: تشكيل حكومة الوحدة الوطنية وتحقيق الثلث الضامن للمعارضة)، وكل ذلك لم يتم إلا بعد تفاهم متقدّم بين طهران وواشنطن. وقد أشار رئيس مجلس الشورى في إيران علي لاريجاني في يوليو الماضي بأن الإدارة الأميركية اختبرت التعاون الإيراني في العراق ولبنان أخيراً.

التقارب الإيراني الأميركي يشكّل تحدياً كبيراً للسعودية يشير إلى أنها ليست أثيرة، وأن حلفاءها غير مستعدين للمراهنة عليها

فجأة تراجعت وتيرة العنف في العراق، بعد أن سحب التيار الصدري مسلحيه وقرر وقف العمليات العسكرية، في إطار تفاهم إيراني عراقي أميركي، أظهر نتائج فورية على الأرض، فيما فتح باب واسع أمام ترتيبات جديدة لتعزيز العملية السياسية بعد موافقة جبهة التوافق على العودة الى الحكومة، وكذلك انحسار الوجود العسكري للتيار الصدري في إطار تفاهم مع قيادة التيار، جرى في طهران بعد عمليات البصرة الأخيرة قبل ثلاثة شهور.

نتائج كهذه لم تأت بفعل القوة العسكرية الأميركية التي ما فتئت تفقد مفعولاتها السياسية والأمنية لوجود مقاومة شرسة تتلقى دعماً مفتوحاً من إيران وسوريا إضافة إلى دول أخرى بما في ذلك السعودية والإمارات والأردن ومصر، وكل له غاياته الخاصة. ولكن حين نأتي على الدور الإيراني في دعم المقاومة يصبح الكلام حول قدرة أمنية وعسكرية يتم تقديمها للتيار الأكثر شعبية في العراق، والقادر على إحداث عطل كبير في المعادلة السياسية والأمنية.

كان لافتاً ذلك التحوّل الأمني المفاجيء في العراق خلال الشهور القليلة الماضية، ولم تستغرق عملية إستكشاف العوامل المساهمة في ذلك التحوّل زمناً طويلاً، فقد توصل المراقبون إلى أن تعاوناً أميركياً إيرانياً كان وراء إنفراج الأوضاع الأمنية في العراق ثم مالبث أن تمدّد ليشمل ملفات أخرى في المنطقة شملت بصورة مباشرة لبنان، بل زاد المراقبون على ذلك بأن الإعلان عن المباحثات السورية الإسرائيلية في تركيا كانت إحدى الثمار التي أينعت مؤخراً في تفاهم طهران وواشنطن وكذلك الحال بالنسبة لصفقة التبادل بين حزب الله والدولة العبرية.

ويذهب مراقبون إلى أن تلك المنجزات المتواترة لا تثبت فقط نجاح التفاهم الأميركي الإيراني بل تلمح إلى مرحلة جديدة من التعاون والتنسيق على مستوى إقليمي وربما دولي في مرحلة لاحقة.

بحسب مصادر سياسية رفيعة المستوى، إن ما يجري من تصعيد في النبرة الأميركية بشأن الملف النووي الإيراني يستهدف بدرجة أساسية الضغط على طهران لتسهيل إبرام الإتفاقية الأمنية بين العراق والولايات المتحدة، ولذلك قامت طهران برد فعل مماثل حيث شجّعت وموّلت عدداً من المؤتمرات

الشعبية في العالم العربي والغرب لحشد رأي عام عربي وإسلامي ضاغط على واشنطن للحيلولة دون توقيع الإتفاقية الأمنية.

وفيما أصبح الملف اللبناني خارج إطار التجاذب بعد أن فقدت الرياض أوراقاً هامة منذ السابع من آيار، إذ خسرت السعودية ما اشتغلت عليه طيلة سنتين من ترتيبات أمنية وسياسية، فإن العلاقات الإيرانية الأميركية تسير في اتجاه يثير مخاوف جديّة لدى الرياض، وهي التي ما فتئت تحشد الحلفاء القريبين والأصدقاء البعيدين من أجل تطويق أية محاولات تقارب بين طهران والغرب كيما لا تفقد الرياض مكانتها التقليدية في السياسة الدولية على المستوى الإقليمي.

وبخلاف ما كان متوقعاً من طهران، فإن الإتجاه الراديكالي في الحكومة الإيرانية ممثلاً في الرئيس محمود أحمدي نجاد بدا مرناً بصورة لافتة حيال الحوار المفتوح مع الإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، بالرغم من تصاعد الضغوطات على إيران لوقف الأنشطة النووية بصورة عامة. فقد التقى المبعوث الأميركي بيرنز المسؤول الإيراني جليلي الذي جاء الى جنيف في ٢٢ يوليو الماضي للتباحث في موضوع الحوافز الغربية لإيران.

كان لافتاً أيضاً قبول الجانب الأميركي التفاوض مع إيران بدون شروط مسبقة، كما كانت تصرّ واشنطن على لسان وزيرة الخارجية كونداليزا رايس، قابله الرئيس الإيراني بموقف مماثل حين أعلن عن رغبة في الحوار مع واشنطن. كل ذلك يلمح إلى مفتتح جديد في علاقة ظلّت متوترة منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، الأمر الذي يلفت إلى مناخات حوارية إيجابية بين إيران والولايات المتحدة.

فقد نقلت وكالات الأنباء الإيرانية والعالمية في ١٥ يوليو الماضي عن الرئيس الإيراني أحمدي نجاد، أي قبل أيام من لقاء جنيف بمشاركة موفد أميركي، بأن محادثات الولايات المتحدة وإيران (ممكنة في مستقبل قريب)، وأوضح نجاد في مقابلة مع التلفزيون الإيراني العام (من الممكن إجراء محادثات في مستقبل قريب مع الولايات المتحدة حول مواضيع مختلفة). وأشار نجاد إلى أن (بعض الأمور ستحصل) في الأشهر المقبلة، وأضاف: مهما

كان بإمكان التفاهم الإيراني السعودي أن يؤسس لنفوذ مشترك متناغم، ولكن غطرسة السعودية دفعت طهران للتفاهم مع واشنطن لتأمين نفوذها

كان الحزب السياسي الذي سيفوز في الانتخابات (الرئاسية) في الولايات المتحدة عليه أن يدرك قوة إيران غير القابلة للتجاهل من أي طرف، وقال (لقد تلقينا عدة رسائل بهذا الخصوص). بل ألمح الرئيس الإيراني إلى أن ثمة مناقشات تجري لتهيئة الدخول في مفاوضات رسمية.

من الطبيعي أن تثير هذه التطوّرات الهامة حفيظة الرياض التي خصّصت جزءً أساسياً من ثروتها النفطية من أجل إعادة بناء تحالف إستراتيجي مع الولايات المتحدة بما تطلّبه من تنازلات سياسية، وصفقات تجارية وعسكرية ضخمة، من أجل أن تستعيد دورها في الخارطة الجيوسياسية الأقليمية، في ظل صعود قوى جديدة وخصوصاً في العراق ولبنان وفلسطين.

إن التقارب الإيراني الأميركي يشكّل دون ريب تحدياً كبيراً للسعودية، إذ سينظر إليه على أنه تجاوز عليها، وخرقاً لأسس التحالف الإستراتيجي بينها وبين الولايات المتحدة، تماماً كما هو شأن المفاوضات الجارية بين سوريا وإسرائيل، حيث تقطع الطريق على استثمار سياسي سعودي محتمل. يشير هذان التطوّران إلى أن السعودية ليست أثيرة دائماً لدى حلفائها، وأنهم ليسوا على استعداد للمراهنة على خيار هزيل لم يحقق اختراقات سياسية لافتة طيلة السنتين الماضيتين، أي منذ الإعلان عن تشكيل حلف المعتدلين.

فما سعت إليه السعودية خلال تلك المرحلة حقّقته طهران وواشنطن في غضون شهرين، بحيث عكست نتائجه الفورية على العراق ولبنان والمنطقة عموماً. بل عكس المناخ الإيجابي في حوار الغرب مع إيران نفسه أيضاً على أسعار النفط في الأسواق العالمية حيث انخفض سعر البرميل بوتيرة لافتة، وهذا يشكّل بارومتر آخر في تأثير العلاقات بين إيران والغرب على الإقتصاد العالمي.

كل ما تخشاه السعودية من هذه التطوّرات يتلخّص في تصاعد النفوذ الإيراني في المنطقة، ولذلك تقوم ما أمكنها ذلك بكل ما يمنع تأثيراته. تراجع الدور السعودي سواء في العراق أو في لبنان او حتى في فلسطين يجعل فرص نفوذها الإقليمي ضئيلة، ولذلك تلوذ بخيارات راديكالية أحياناً دونما رؤية سياسية واضحة، فهي أقرب الى

بعد سعود الفيصل

بندر يغري روسيا بوقف التعاون مع إيران

ذكر تقرير نشرته صحيفة (كوميرسانت) الروسية في منتصف يوليو الماضي بأن رئيس مجلس الأمن القومي السعودي بندر بن سلطان شرح لقادة الكرملين تفاصيل إقتراح كان قد قدّمه وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل بإسم الملك عبد الله الى روسيا في فبراير الماضي ويقضي بأن تقوم روسيا بتقليص تعاونها مع ايران مقابل عقود أسلحة مربحة مع السعودية.

الناطق باسم الحكومة الروسية نفى أن يكون الاتفاق مرتبطاً بايران، وقال ان أي محاولة لربط التعاون مع الرياض بمسائل أخرى (ليس صحيحاً وليس ملائماً).

وأضاف الناطق باسم الحكومة الروسية أن (التعاون العسكري التقني بين روسيا والسعودية له بعد مستقل.

وأبلغ بندر رئيس الوزراء الروسي فلاديمير بوتين خلال لقائه به في الرابع من يوليو الماضي أن العلاقات مع موسكو أصبحت إستراتيجية وأنه سينقل أفكار الملك السعودي حول المجالات الاقتصادية والعسكرية والطاقة والأمن.

تجدر الإشارة إلى أن الأمير سعود الفيصل كان قد زار موسكو بصورة خاطفة في الرابع عشر من فبراير الماضي والتقى مع الرئيس فلاديمير بوتين في الكرملين لمدة أربع ساعات، ونقلت صحيفة (كوميرسانت) بأن سعود الفيصل نقل رسالة من الملك عبد الله إلى الرئيس الروسي تناولت تطورات الوضع في الشرق الأوسط.

غير أن الصحيفة ذكرت أيضاً بأن كل الدلائل تشير إلى أن الوزير السعودي حمل رسالة أخرى غير خطية تناولت القلق السعودي بشأن التعاون الروسي الإيراني. وأن الفيصل سعى إلى إقناع الروس بأن تقوية إيران قد تؤدي إلى زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط. وتحدّثت الصحيفة عن خطة سعودية لدرء الخطر الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، خطة يجب أن تلعب موسكو والرياض دورا رئيسيا في تنفيذها.

وشملت الخطة السعودية عرضاً لروسيا شمل صفقات متعددة إذا هي توقفت عن دعم إيران في المجالين النووي والعسكري. وقد نقلنا تفاصيل أكثر عن اللقاء في عدد الحجاز الصادر في مارس الماضي.



صفقات سلاح ضخمة مقابل نفور روسي من إيران

المواقف الإنفعالية منها إلى الواقعية والعقلانية. ونلحظ ذلك بوضوح بعد انتخاب رئيس الجمهورية في لبنان الذي كان مبرر المقاطعة السعودية لسوريا دبلوماسياً، حيث واصلت الرياض سياسة القطيعة مع دمشق، وأبقت الأبواب مغلقة بإحكام أمام أي فرص للتقارب، بل راهنت على تشديد الطوق المفروض على سوريا من قبل الغرب، والذي انكسر بعد زيارة الرئيس بشار الأسد إلى باريس في يوليو الماضي.

لابد هنا من الإشارة إلى ما جنته السعودية من مخطط إسقاط النظام السوري، والذي جلب عليها سخطاً شعبياً عارماً، حيث باتت حظوظ الرياض في أن تستعيد صورتها بوصفها عاصمة الوفاق العربي والحليف الوفي لدمشق ضئيلة بل شبه معدومة، وهناك من يهمس في مجالسه الخاصة إلا أن الممارسات السعودية غير الأخلاقية والمتعارضة مع القيم العربية تدفع سوريا إلى تحيّن الفرصة لرد إنتقامي يتناسب مع المؤامرة التي أفضت إلى زعزعة الإستقرار الداخلي لعدة شهور وكادت أن تطيح النظام.

إستعادة النظام السوري للامساك بزمام الوضع الأمني الداخلي وتصفية العناصر المرتبطة بالسعودية عبر قيادات سورية معارضة، عزّزت من صدقيّة التحالف الإستراتيجي بين إيران وسوريا، وإذا ما قدّر لتفاهم إيراني أميركي أن يواصل تطوّره الإيجابي فإن السعودية ستجد نفسها أمام حقائق جديدة ليست قادرة على العبث بها، خصوصاً وأن تلك الحقائق تمثل ضرورات أساسية للغرب في المنطقة.

فكما جلب التفاهم الأميركي الإيراني تحسّناً كبيراً في الوضع الأمني داخل العراق، وأزال الإنسداد السياسي في لبنان، وفتح أفق جديد في المفاوضات بين سوريا والدولة العبرية، فإنه قابل لأن يستوعب ملفات أخرى ساخنة، بما في ذلك الملف النووي الإيراني، والإتفاقية الأمنية مع العراق، وقد يكون الملف الفلسطيني جزءً أساسياً في التفاهم الإيراني الأميركي.

كان بإمكان التفاهم الإيراني السعودي أن يحول دون ذلك كله، خصوصاً وأن طهران بادرت إلى الرياض في أكثر من مناسبة لتقاسم النفوذ، ولكن السعودية إختارت سبيلاً آخر، يقوم على

المال السعودي صالح للإستعمال الظرفي، ولكنه بالتأكيد يعجز عن صنع تغيير، وحتى العمليات التخريبية الممولة سعودياً قصيرة الأمد في نتائجها

توظيف تحالفها الإستراتيجي مع الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص، من أجل الحد من النفوذ الإيراني في المنطقة، ولكن هذا النفوذ يتحقق الآن في سياق عملية تفاهم بين طهران وواشنطن. هناك من يرى في التفاهم أبعاداً إنتخابية، سواء قريبة في الولايات المتحدة أو بعيدة في إيران. فثمة في الأخيرة من يعمل على إنضاج تفاهم مع الإدارة الجمهورية كيما تواصل مسيرة علاقات بدأت تركب سكة صحيحة ثابتة، بدلاً من المراهنة على الديمقراطيين الذين قد يجنحون إلى تبديل أجنداتهم السياسية بعد الفوز بالإنتخابات، لا ننسى الإشارة إلى أن الثورة الإيرانية إندلعت في ظل إدارة ديمقراطية.

رفضت الرياض التسليم بحقيقة أن لإيران نفوذاً إقليمياً يجب القبول به أو على الأقل التعامل معه بطريقة صحيحة، وبما يجعل تثميره في القضايا الجدلية ممكناً. في المقابل، بدأت المواقف الأوروبية والأميركية تنزع نحو واقعية إيجابية، بحيث تقرّ بهذا النفوذ، ولكن في الوقت نفسه تعمل الدول الأوروبية والويات المتحدة على (ترشيده) أو (ضبطه)، حتى لا يكون مهدّداً لمصالحها أو متعارضاً مع سياساتها في المنطقة.

هناك من يعتقد بوجاهة جديرة أن التقارب الإيراني الأميركي لن يقود إلى تقارب إيراني سعودي، ببساطة لأن الأول من وجهة النظر السعودية متعارض مع توجّهاتها وأهدافها، بل تنظر إليه على أنها المستهدف المباشر منه. ولهذا السبب، فإن المرشّح في العلاقات بين الرياض وطهران هو التدهور والتصادم في مواقع الإحتكاك الراهنة خصوصاً في لبنان، إضافة إلى ملفات أخرى يشارك فيها الطرفان بحماسة عالية حيث لا أثر لمعارك مادية، منها التصعيد المذهبي ضد إيران في لبنان وفلسطين، وتهويل الخطر الإيراني النووي، واحتضان تنظيم مجاهدي خلق، وشن حملات إعلامية مركّزة ضد إيران، في مقابل تحريك إيراني لحلفائها من أجل الكشف عن خطر السعودية على مصالح الأمة، وتحالفها مع الدولة العبرية، وضلوع الوهابية في التحريض الطائفي وشق وحدة الصف الإسلامي.

السعودية المنزعجة من ساركوزي

متأخرون هم آل سعود دائماً.

يعتقدون أن السياسة صفقة كلامية، ووعود لفظية، لا مصالح دول تدور حولها كل العمليات والبرامج والمشاريع السياسية.

أخذوا وعداً من ساركوزي بمحاصرة دمشق، بل وإسقاط نظام الأسد، مثلما فعلوا أيضاً مع بوش. أرادوا - بنظرهم - التعويض طائفياً، عما جرى في العراق، في لعبة في أساسها لا تقوم على الطائفية، بل على ثنائية الإستبداد والإصلاح، أو الإستعمار ومقاومته. ولكن السعوديين تفاجأوا وهم المصطفون وراء فرنسا وأميركا لتغيير الوضع بالعنف والقوة والحرب في لبنان، أن مشروعهم يسقط، وأن من كان بالأمس يكاد تذهب به الريح، قد انتعش وثبّت أقدامه على الأرض.

كانت أحداث ٧ مايو الماضي في بيروت، وكان مؤتمر الدوحة، فانتخاب رئيس للجمهورية، وتشكيل الحكومة الوطنية.. وإذا بأسهم سوريا ترتفع، وإذا بفرنسا تدعو الأسد الى باريس، فراع كل هذا السعوديين الذين يعتمدون على التخريب واللعب من خلف القوتين الأميركية والفرنسية، بل والإسرائيلية كما في حرب تموز ٢٠٠٦.

راعهم أن الأقوياء بدأوا بتغيير سياستهم بعد أن ثبت فشلها. فرنسا واسرائيل وأميركا. ولكن (أصحاب الشوارب) من آل سعود ثقيلي الفهم والسمع وضعيفي البصر والرؤية، لازالوا يريدون مواصلة نفس السياسة ولازالوا. هم يريدون (الحج) في غير موسمه، بل بعد أن أدّى الناس الحج وأخذوا بالعودة. وحين يقال لهم بأن موسم الحج انتهى، يصرّون على أن التاريخ مغلوط، وإنها (عنزة ولو طارت)!

حين روّع السعوديون بدعوة الأسد لزيارة باريس، طار وزير الخارجية سعود الفيصل الى هناك، راجياً ساركوزي وحكومته أن يتراجع عن الدعوة!، وداعياً الى مواصلة (حصار دمشق). عبثاً حاول الفرنسيون إفهامه بأن سوريا لم تعد معزولة وأنها كسرت القضبان، ولكن الوزير لم يفهم، أو لم يرد أن يفهم. وعبثاً حاولوا أن يشرحوا له كيف أن الظرف تغير بعد حوادث بيروت في ٧ مايو الماضي، إلا أن الفيصل أصرّ على أن مليكه الذكي يرى ويرجو أن لا تظهر دمشق بمظهر المنتصر أكثر مما هو حادث على أرض الواقع.

الفرنسيون اعتذروا عن تلبية الطلب السعودي، ولكن بأدب، فهم يخشون على البطة السعودية التي تبيض للعواصم الغربية ذهباً أسوداً مقابل أسلحة مصيرها الصدأ. وحين زار الأسد باريس، سارعت الرئاسة الفرنسية الى إرسال مبعوث الى الملك السعودي الذي يقضي إجازته في الدار البيضاء ليوضح له صورة لقاءات الأسد، وكأن المبعوث أراد طمأنة الملك السعودي بأن الأسد لم يحصل على مكاسب كبيرة، وأن ما حصل عليه يمكن هضمه وتحمّله.

أياً تكن الصورة، فإن آل سعود يخسرون ولكنهم يختلفون عن غيرهم بأنهم لا يغيّرون من مشيتهم، وبالتالي فهم يخسرون وسيخسرون أكثر من غيرهم.

أغلب اغتيالات بيروت كانت من تدبير الأردن ثم السعودية

السعودية تنتظر حساباً عسيراً

هيثم الخياط

منذ المبادرة الفرنسية السورية لتسوية الأزمة اللبنانية، والسعودية تضع كل إمكانياتها الدبلوماسية والمالية والأمنية لضرب طوق حول دمشق للحيولة دون عودة نشاطها السياسي الإقليمي. بالنسبة لدمشق، أسقطت الرياض كل المحرمات في الخلاف السعودي السوري، وليس هناك ما يحول دون ضبطه عند حدود التدابير الدبلوماسية (تجميد العلاقات، وتخفيض التمثيل الدبلوماسي، ووقف الزيارات المتبادلة)، أو حتى مواصلة الحملات الإعلامية المتبادلة.

منذ إغتيال القائد العسكري لحزب الله عماد مغنية في ١٢ فبراير الماضي، كانت دمشق على موعد مع ملف بالغ الخطورة والتعقيد، حيث فتح الحدث الباب واسعاً على سلسلة ممتدّة من المفاجئات الأمنية الداخلية والتي تلتقي عند حقيقة التخطيط لقلب نظام الحكم في سوريا يشارك فيه عدد من الشخصيات السياسية السورية المعارضة (رفعت الأسد، وعبد الحليم خدام) وحلفاؤهما في الداخل السوري، بتمويل من السعودية ورئيس تيار المستقبل سعد الحريري، وبتنسيق أمني مع جهازي المخابرات الأردنية والإسرائيلية. كان مقرراً أن تعدّ غرفة عمليات لإعداد مجموعات تقوم بتنفيذ هجمات متزامنة بسيارات مفخّخة أعدّت في الأردن ولبنان ضد مواقع حيوية داخل دمشق (مبنى الإذاعة والتلفزيون، وقصر الرئيس، ومركز المخابرات)، واقتحام مواقع عسكرية تهيء لتمردات جماعية وإحداث فوضى تفضي الى تصديع النظام الأمني والعسكري بما يسمح بتدخل خارجي.

وبقدر ما شكل اغتيال مغنية عملية نوعية بالنسبة للجهات المنفذة (حيث لا تزال المصادر السورية تلمح بصورة جازمة الى ضلوع أجهزة استخبارات عربية وخصوصاً سعودية وأردنية وإماراتية)، فإن العملية ذاتها صعّدت من مستوى التنسيق الأمني بين سوريا وإيران وحزب الله وحركة حماس، على قاعدة أن دول الإعتدال (مصر والأردن والسعودية وبقية دول مجلس التعاون الخليجي إضافة إلى إسرائيل)، باتت تنفّذ مخططاً مشتركاً في مواجهة دول الممانعة.

ما توصل إليه السوريون من معطيات حول ضلوع السعودية والأردن بصورة خاصة في المخطط الأمني واسع النطاق داخل سوريا بهدف إسقاط نظام بشار الأسد، كان كافياً لأن يضيف عنصر توتير جديد في العلاقات السعودية السورية.

وفيما نجحت دمشق في إحتواء وإحباط تداعيات التحرّكات التي جرى تمويلها من السعودية بالتنسيق مع عبد الحليم خدّام ورفعت الأسد، وقامت بتوجيه ضربة قاصمة لحلفائهم في الداخل أو الذين جرى تجنيدهم لهذه العمليات، حيث لقي ما يقرب من ألفي عنصر مصرعهم على يد القوات الخاصة التي يقودها ماهر الأسد، وتم الكشف عن خلايا مرتبطة تمويلياً واستخبارياً بالسعودية والأردن، وكذلك إيقاف عدد من السيارات المفخّخة من نوع مرسيدس سوداء اللون، واعتقال عدد كبير من العناصر المشتبّه في تورّطها في مخطط الإنقلاب، قررت بعد ذلك دمشق أن تخوض معركة مفتوحة.

وجاءت اللحظة المناسبة كيما تردّ على السعودية والأردن، حيث كان السابع من أيار/مايو الماضي ساعة الصفر لزوال الأمبراطورية الأمنية

خسرت السعودية دولتها الأمنية في بيروت الغربية، فيما تولّى إعلامها المحلي والخارجي بالتعبير عن الخسارة بحملة ضد حزب الله

التي شيّدتها السعودية والأردن في بيروت الغربية والجبل، وقامت قوى المعارضة اللبنانية بعمل أمنية وعسكرية شديدة الإتقان، والتي تكبّدت فيها السعودية خسارة فادحة عبّر عنها مسؤول إسرائيلي استخباري كبير بأن النشاط الأمني الذي دام لمدة سنتين وكلّف ١٢ مليار دولار تبدّد في يومين. فقد عثر الجهاز الأمني التابع لحزب الله على وثائق بالغة الخطورة تدين أجهزة استخبارية عربية أردنية وسعودية ومصرية. وبحسب مصادر لبنانية مقرّبة من الحزب فإن ثمة معطيات قوية تفيد بتورّط الإستخبارات الأردنية في أغلب، إن لم يكن جميع، الاغتيالات التي وقعت في لبنان على مدار الثلاث سنوات الماضية.



خسرت السعودية دولتها الأمنية في بيروت الغربية، والتي اضطلع سعد الحريري بالتعبير عن تلك الخسارة بطريقة إنتحابية، فيما تولّى الإعلام السعودي محلياً وخارجياً بتصعيد حملته ضد حزب الله، حين وصف العملية بأنها (اجتياح بيروت)، ليغطي على ما فقده من حضور أمني كثيف.

وجاءت الخسارة الثانية بانعقاد مؤتمر الدوحة الذي جاء نتيجة التحرّك الأمني الذي قامت به المعارضة اللبنانية، وقطفت القيادة القطرية ثمرة سياسية جاهزة حين وفّرت المعارضة اللبنانية والقيادتان السورية والإيرانية غطاءً سياسياً للمؤتمر، عزّزه توافق أميركي - إيراني في الموضوع العراقي، فيما بقيت الرياض ترقب من بعيد أنباء المداولات الجارية في الدوحة والذي انتهى بتحقق مطالب المعارضة اللبنانية بانتخاب ميشال سليمان رئيساً للجمهورية، وقيام حكومة وحدة وطنية يكون فيها للمعارضة الثلث الضامن، وإعلان قانون إنتخابي جديد.

وبالرغم من التهويل السعودي والموالاتي باحتمال فشل اتفاق الدوحة، وتنفيذ بعض المشاغبات الأمنية في المناطق المختلطة بين السنة والشيعة، إلا أن ذلك لم يؤثّر جوهرياً في مسيرة تنفيذ الإتفاق. شعرت الرياض حينذاك بأن ضربة معلم قد تعرّضت لها من دمشق مرة أخرى، وأن مجرد (التشويش والتطبيش) لن يعيد عقارب الساعة للوراء،

فبعد أن كانت السعودية دولة في بيروت الغربية عادت لتجد مكانها ضمن حجم تيار المستقبل، وأن لغة (التهويش الطائفي) لا تؤدي سوى غرض وقتي، ولا تؤسس لتغيير معادلة أو صنع أخرى، فقد احتلت قطر السنيّة مكانة متميّزة في المناطق الشيعية، أكبر بكثير مما هي عليه في المناطق السنيّة، بفعل حنكة القيادة القطرية وقدرتها على اقتناص الفرص، فصارت عبارة (شكراً قطر) في شوارع الضاحية، وعلى زجاج السيارات، وصولاً الى قرى الجنوب اللبناني تبطن نكاية بالموقف الكيدي السعودي الذي لم يجن سوى الوهم بأن المال النفطي قادر على فرض واقع جديد أو حتى تجنيد مقاتلين يدافعون عن قضية خاسرة.

ولهذا السبب، تسعى السعودية إلى تحريك حلفائها في لبنان من أجل توسيع مجال نفوذها، عبر اختراق الطائفة الشيعية، للحد من نفوذ حزب الله. زيارة سعد الحريري، رئيس تيار المستقبل المتوافق مع يوم تبادل الأسرى في السادس عشر من يوليو الماضي للعراق، كانت تنفيذاً لقراءة سعودية لبنانية مشتركة، قدّمها بعض الشخصيات الشيعية المستقلة. فإضافة الى البعد الإقتصادي لزيارة الحريري للعراق، فإن ثمة من أوعز له بزيارة المرجعية الشيعية في النجف الممثلة في السيستاني، من أجل دعم الخط الشيعي المستقل في لبنان، يمكن له أن يؤسس لعلاقة مستقرة بين السنة والشيعة، فيما يحد من نفوذ حزب الله داخل العراق، بوصفه خطاً إيرانياً يتعارض مع مصلحة العراق ومرجعية السيستاني التي تميل للإعتدال وتشجّع عليه.

ما يلفت الإنتباه، أن تطورات ما بعد اتفاق الدوحة جاءت دائماً لصالح دمشق، فقد تكسّرت تدريجياً القيود المفروضة عليها من الغرب، وكانت باريس الذي واجهت ضغوطات سعودية كثيفة قبل انعقاد القمة العربية في دمشق في مارس الماضي، والتي جاءت بعد ضغوطات مماثلة بوقف الرياض لصفقة طائرات رافال الفرنسية ما لم توقف المبادرة


اغتيال مغنية: فتّش عن الدور السعودي

الفرنسية - السورية لتسوية الملف اللبناني، تصبح باريس هذه البوابة التي تعبر منها القيادة السورية الى العالم الغربي.

كانت أنباء مشاركة الرئيس السوري بشار الأسد في (الإتحاد من أجل المتوسط) والتي تم تداولها في الإعلام على مدار شهر ونصف تبعث على الحنق لدى الأمراء السعوديين. وكمن يتجرّع آلام بلع الموسى بعد السابع من مايو، بات الأمراء غير قادرين على إخفاء معارضتهم لخروج دمشق من الطوق الدولي، خصوصاً حين يكون هذا الخروج بلا ثمن تدفعه دمشق لخصومها، ولا الإخراج المناسب الذي يجعل الرياض في موضع آمن وغير محرج.

بالنسبة للقيادة السورية، أن لقاء باريس ليس سوى نتيجة لمقدّمات ساهمت في تثبيتها وفرضها، وأن مشاركتها في فعاليات (الإتحاد من أجل المتوسط) ليس منّة فرنسية بقدر ما هي إقرار ضمني بدور سوري رئيسي نجح في فتح الإنسداد السياسي في الجدار اللبناني، خصوصاً بعد أن تجاوزت دمشق تحديات أمنية داخلية ودخلت على خط التسويات الإقليمية والدولية وبات على الغرب قبل عرب الإعتدال الإذعان لدور سوريا في ملفات المنطقة التي عجزت السعودية وبقية المعتدلين العرب عن حسمها على طريقتهم.


رفعت الأسد وخدام: أدوات انقلابية سعودية

تطورات ما بعد اتفاق الدوحة جاءت دائماً لصالح دمشق، فتكسّرت قيود حصارها وتبدّدت الضغوطات السعودية

لم يرق للأمراء أن يروا خصمهم وقد وضع أقدامه في باريس جنباً إلى جنب بقية قادة دول المتوسط، الأمر الذي يجعله منتصراً بعد أن راهنت السعودية ودول أخرى على هزيمته الماحقة. بدا الرئيس السوري بشار الأسد واثقاً بما يكفي لتصعيد مستوى الغضب لدى الأمراء، فقد تجاهل حسني مبارك رغم المصافحة الدبلوماسية المعتادة، ومرّ من أمام جناحه ليستقر في جناح الرئيس اللبناني المنتخب ميشال سليمان، والذي مثّل لقاءهما محطة لافتة في العلاقات السورية اللبنانية ومهّد للقاءات متبادلة بين مسؤولي البلدين.

مصادر سورية رسمية وإعلامية تحدّثت بعد إنتهاء فعاليات (الاتحاد من أجل المتوسط)، عن جهود سعودية مكثّفة بذلت إلى ما قبل وصول الرئيس بشار الأسد إلى باريس من أجل ثني الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي عن استقبال الأسد في قصر الأليزيه. ونقلت المصادر عن زيارة قام بها وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل الى باريس للتعبير عن وجهة النظر السعودية حيال التقارب السوري الفرنسي، وأن ذلك من شأنه أن يتسبب في أضرار سياسية فادحة في المرحلة الراهنة. ونقل المصادر أيضاً أن معلومات وصلت للقيادة السورية خلال اللقاءات السورية الفرنسية في الأليزيه وكذلك الإجتماعات الموسّعة بأن ثمة تحرّكاً سعودياً متصاعداً يقوده الأمير سعود الفيصل بهدف تخريب زيارة الرئيس الأسد، وتعطيل فرص التقارب السوري الفرنسي، وقد أفشى الأسد لساركوزي تحفظه حيال قبول الأخير بالخضوع تحت تأثير الضغوط السعودية والتي أثّرت على مبادرة سابقة كادت أن تخرج لبنان من أزمته، لولا (حماقة) وزير الخارجية الفرنسي برنارد كوشنير الذي بدا وكأنه أميل إلى وجهة النظر السعودية.

تجدر الإشارة إلى أن كوشنير غاب عن جميع اللقاءات السورية الفرنسية في الأليزيه وكذلك الإجتماعات الموسّعة، وكان قد عبّر عن تحفظه من زيادة وتيرة العلاقات الفرنسية السورية في هذه المرحلة، ولذلك تم استبعاده من متابعة ملف العلاقات بين البلدين، وتكليف كلود غيان، الأمين العام للرئاسة الفرنسية بالمهمة، فيما كلّف ساركوزي أحد الدبلوماسيين المقرّبين منه بالتفرغ بصورة شبه كاملة للإشراف على الملف وتسهيل الإتصالات بين القيادتين السورية والفرنسية.

السعودية تتوجس خيفة من أي تقارب سوري فرنسي لأنه يذكّر بتفاهمات سابقة بينهما في الملف اللبناني، وهي التي تسعى للسيطرة على الملف اللبناني من خلال تيار المستقبل في لبنان. ولذلك، تنظر بريبة للقاء الرباعي الذي جمع القيادات: السورية والفرنسية واللبنانية والقطرية، لأن ذلك، مهما تكن حيثياته ونتائجه، يمثل تجاوزاً لها بوصفها دولة نافذة في لبنان، وقد يؤدي في مرحلة لاحقة إلى تهميشها وخصوصاً في مرحلة ترى بأن نفوذها مهدّد بعد السابع من مايو بكل التطورات اللاحقة التي أعقبت اندحار حضورها الأمني والمالي.

مصادر إعلامية سوريّة مقرّبة من الحكومة ذكرت بأن للسعوديين عقدة إضافية بعد إتفاق الدوحة، فقد باتوا يخشون من ترتيبات خفية تضطلع بها قطر وسوريا وفرنسا، بعد أن خلت الساحة اللبنانية من أدوات ضغط مؤثرة، إذ لم يعد العامل الأمني قائماً بعد السابع من مايو، وأن المال وحده لا يكفي لتسديد ضربات موجعة للسوريين وحلفائهم في لبنان. وزاد الطين بلة، ما حققته المقاومة اللبنانية من مكاسب شعبية بعد عملية تبادل الأسرى في السابع عشر من يوليو الماضي والتي قفزت بأسهمها لبنانياً وعربياً وإسلامياً، الأمر الذي يجعل أي تحرّك ضدها يحمل تفسيرات مشبوهة، وقد يكون التواطؤ مع إسرائيل تهمة تلصق بها مجدداً.

في بلد الخمسة ملايين فقيراً

السعودي الأكثر سعادة!

سعد الشريف

الأمراء يتفجر الورع من جوانبهم، والأدلة على ذلك كثيرة!.

في تعليق له على مسح قامت به مؤسسة دولية شمل ٩٦ دولة، أظهر بأن السعودي الأول عربياً في قائمة الشعوب الأكثر سعادة وفي المركز ٢٦ على المستوى العالمي، كتب الأكاديمي علي سعد الموسى في صحيفة (الوطن) في ٥ يوليو الماضي بأن أهل هذا المسح قد أجروا دراستهم من مراكز المملكة وغرناطة والجمجوم ورد سي مول وسوق حراء الدولي ومجمع الراشد بالظهران. وأضاف (كما يبدو لي فإن الاستطلاع مرّ على عوائل الراجحي والعليان وبقشان وعبداللطيف جميل والعثيم وباخشب وباسمح وعرفان والقزاز والفتيحي والبترجي وابن محفوظ والنهدي وباخشوين والحمراني وهيف ومالكي درعة للعطور والعيسائي وعلي بن حسين بن حمران وسليمان فقيه وبخش والمغربي والمهيدب..) إلخ..

وفي رد على نتائج الإستطلاع قال موسى (في ثنايا ذات الإستطلاع نسي الإخوة أن يمروا على أرملة يحيى بن هادي، وأيتام صالح بن مفرح، وأمام بيت شايعة بنت جارالله، وغامية بنت عبدالهادي. بقي عليهم أيضاً زيارة هاروب وجبل منجد والزاوية الجنوبية الغربية من درب آل موسى والشمالية الشرقية من درب بني شعبة، حيث الآلاف الذين يلتحفون زرقة السماء ويتملكون في جوفهم كل غبار الأرض النقي. هؤلاء هم الطبقة الذين لا يعرفون ثقب الأوزون ولا ثقوب الجيوب. هؤلاء هم أهل السعادة الكاملة، هؤلاء لا يردون في مسح سكاني ولا في نشرة أخبار ولا في استطلاع شارد عن الحب والكراهية ولا السعادة ولا البؤس. هؤلاء يعيشون اليوم بلا مصطلحات).

يضيء الإستطلاع والتعليق على المساحة الأكبر المجهولة قصداً أو سهواً، حيث يغمر النفط المشهد الإقتصادي لبلد يراد له أن يصوّر على أنه فردوس الأرض. وكما جرت العادة دائماً أن يتم تقديم الوقائع النافرة في هيئة حقائق تامة، بدءً من التكوين الإجتماعي للسكان، والإلتزام الديني الصارم، والمستويات المعيشية المتكافئة والمزدهرة، وصولاً إلى النظام السياسي المستقر.

يبدو مستغرباً دائماً أن يعاني بلد يعمل فيه مايربو عن ٦ ملايين أجنبياً (ويستعد لاستقبال مايربو عن مليون ونصف المليون عاملاً أجنبياً جديداً) من البطالة بنسبة عالية، كما يبدو مدهشاً أن يعيش مواطنون في بلد يحصد ما يقرب مليار ونصف المليار دولار يومياً في بيوت من الصفيح، أو أن يسكن أكثر من نصف سكانه في بيوت مستأجرة، أو أن يكون ٧٠ بالمئة من مدارسه عبارة عن بيوت مستأجرة، بعضها غير صالح للدراسة أو الإستعمال.

كان إرتفاع مداخيل النفط بوتيرة متسارعة قد بعث آمال ملايين المحرومين، الذين بلعوا أحزانهم، ومعاناتهم، وأيضاً أحلامهم بانتظار فرج إقتصادي. ولكن ما لبثت تلك الآمال أن تبدّدت، حيث تحوّلت الزيادة في مداخيل النفط الى نقص في حاجات الناس، وزيادة في متطلبات الحياة. فمنذ بدأت أسعار النفط بالإرتفاع، أصبح حديث الناس يدور حول (الغلاء)، غلاء أسعار المواد التموينية، ليشمل كل شيء تقريباً قابل للبيع والشراء. فقد

البلد النفطي، الأول عربياً من حيث السعادة، يعاني من تردّي الخدمات العامة: الكهرباء، والماء، وتفشي الأمراض

وصلت أسعار بعض المواد الغذائية الى ضعف ما كانت عليه قبل عام، وتذكر المصادر الرسمية بأن نسبة التضخم قد بلغ ١٠ بالمئة، ولكن حقيقة الأمر كما يدركها المواطن العادي غير ذلك، فالزيادة في مرتبات موظفي القطاع العام التي أعلن عنها الملك قبل عام بنحو ١٥ بالمئة قابلها تضخم بنسبة ٤٥ بالمئة.

تأتي أزمة الغلاء بعد عام تقريباً على انهيار سوق الأسهم، الذي أفضى الى تآكل سريع في الطبقة الوسطى، وأدخل أعداداً غفيرة من العوائل في مجتمع الفقراء، إضافة إلى أكثر من مليون مضارب يعانون من أمراض نفسية. في هذا البد النفطي الذي يزعم الاستطلاع بأنه الأول عربياً من حيث


ماذا بعد أن عرفت أنها المملكة؟

السعادة، مازال يعاني السكان من تردّي الخدمات العامة: الكهرباء، والماء، وتفشي الأمراض. في هذا البلد السعيد جداً يتم إيصال المياه الى البيوت عبر صهاريج، وقد تنقطع المياه لعدة أيام، أما المياه الصالحة للشرب فذلك حلم لا يجوز البوح به حتى لا يكون مورد سخرية.

الزيارة التي قام بها ولي العهد حينذاك عبد الله بن عبد العزيز (الملك حالياً) لبعض الأحياء الفقيرة في الرياض في نوفمبر ٢٠٠٢، قدحت شرارة نقاشات واسعة على امتداد حدود المملكة بشأن أوضاع ملايين الفقراء الذين لم تشأ أضواء الإعلام المحلي والخارجي أن تصل إليهم أو التعرّف عليهم بسبب الرقابة الصارمة المفروضة على النشاط الإعلامي أو بفعل الصورة النمطية عن مملكة النفط والتي شكّلت غمامة كثيفة غطّت على حقائق مستورة.

ليس هناك في الخارج من يتخيّل أن يسكن الفقر إلى جانب الثروة النفطية، فتلك مساكنة مستحيلة في مخيال كثيرين خلف حدود المملكة. فالأمراء والعوائل المتحالفة معهم ينعمون في تحالف تجاري واسع النطاق، وهم وحدهم من يرسم صورة المملكة لمن لا يعرف تفاصيل الحياة اليومية للمواطنين، ولذلك لا غرابة أن يقع القائمون على استطلاعات حول أوضاع السكّان في السعودية تحت تأثير خديعة السعادة الموهومة. وإذا كان المشهد العام للمجتمع يجري إختزاله في عشرات الأفراد من أمراء وتجّار كبار يملكون مئات المليارات من الدولارات، ويكفي واحداً منهم أن تشمل حساباته البنكية في سويسرا ما يفوق موازنات دول عربية، وأن يجني من حساب من واحد فحسب (من أصل عشرين حساباً) أرباح تقدّر بثلاثة ملايين دولار في اليوم الواحد. وكل هؤلاء قد

تخرّجوا من مدرسة الملك فهد سابع ثري في تاريخ البشرية بثروة قدّرت بنحو ٤٠٠ مليار دولار، وها هو الأمير سلطان، ولي العهد الأمين جداً للملك عبد الله، ينوي كسر الرقم ليحتل مرتبة متقدّمة في الثراء.

حفنة من الأمراء تسيطر على نسبة ٨٠ بالمئة من مداخيل النفط سواء عن طريق المخصصات



هذا مثال على نجاح (صندوق الأجيال)!

المباشرة، أو في هيئة عقود تجارية نفطية وصفقات تسلّح فلكيّة يتم إبرامها على هيئة مقايضة السلاح بالنفط. في مقابل تلك الصورة، تختفي صورة حقيقية مأساوية تضم غالبية السكّان، حيث تندثر الطبقة الوسطى، وتتسع مساحة الحرمان.

وفي بلد تبدو فيه الإستجابة لحاجات المواطنين خياراً إضطرارياً وطارئاً، لم يكن تشكيل (لجنة مكافحة الفقر) من قبل ولي العهد حينذاك، الملك حالياً مجرد سبق إنساني على وضع لم يكن موجوداً، وإنما لأن ثمة أزمة عميقة بات إنكارها منكراً عظيماً. وقد أوردنا في أعداد سابقة ما ذكره مدير اللجنة سالفة الذكر سنة ٢٠٠٣ بقوله أن ٣٠ بالمئة يعيشون تحت خط الفقر، وأن المملكة بحاجة إلى ٢٠ سنة لوقف تمدّد الفقر إلى شرائح إجتماعية جديدة. وبلغة الأرقام، فإن ٣٠ بالمئة تعني نحو خمسة ملايين مواطن يعيشون تحت خط الفقر. المشكلة لا تقف عند هذا الحد، فثمة مشكلات أخرى لا تقل خطورة، وبلغة الأرقام أيضاً فإن مايربو عن عشرة ملايين مواطن يواجهون أزمات قروض طويلة الأجل. ولابد من التذكير هنا إلى أن إنهيار سوق الأسهم سنة ٢٠٠٧، ومن ثم غلاء أسعار المواد التموينية قد ضاعف من اعتماد الغالبية العظمى من السكّان على نظام الإقتراض البنكي الذي ضاعف في الفترة الأخيرة من وتيرة نشاطه في ظل تراجع القدرة الشرائية لدى المواطنين، وتضاعف متطلبات العيش.

لقد أفضى انهيار سوق الأسهم إلى تآكل سريع في الطبقة الوسطى، وأصبحت ثمانية ملايين محفظة عرضة للإفلاس التام، فيما تحوّل كثير من أصحاب المحافظ إلى فقراء حقيقيين، دع عنك التداعيات النفسية والإجتماعية والإقتصادية التي تركها الإنهيار على العوائل والأفراد. وبالرغم من غياب مؤسسة إحصاء معتمدة تضطلع بتقديم أرقام دقيقة عن تأثيرات انهيار سوق الأسهم، فإن ما رشح من معطيات ينطوي على دلالات بالغة الخطورة، فقد لوحظ بأن معدل الإنتحار في السعودية قد تضاعفت خلال العامين الماضيين.

وليس ذلك مستغرباً، فبعد أن إضطر وزير العمل غازي القصيبي للكشف عن الرقم الحقيقي للبطالة بعد أن كان الرقم المتداول ٦٠ ألفاً من أصل ١٥٠ عاطل بعد حملته الشهيرة، حيث تبيّن أن عدد العاطلين كان أعلى من ذلك بكثير وما أعلن عنه قد يخفي جزءً جوهرياً من الحقيقة أيضاً، فقد أصبح نصف مليون، بحسب القصيبي، عاطلاً عن العمل، (وحقيقة الأمر أن عدد العاطلين عن العمل تجاوز المليون عاطلاً). ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى ارتفاع نسبة الجريمة. وبحسب إحصاءات رسمية فإن نسبة الجريمة ارتفعت بين العاطلين عن العمل الى ٣٢٠ بالمئة.

وبالرغم من صعوبة التعويل على الاحصاءات الرسمية المعلنة بخصوص عديد العاطلين والفقراء والمنتحرين، فإن ثمة ما لا يمكن إخفاؤه من وقائع ماثلة للعيان تعكسها الحياة اليومية لملايين المواطنين، مهما بشّرت تصريحات الأمراء والوزراء بغير ذلك، من قبيل ما ذكره وزير الشؤون الإجتماعية قبل نحو عام بأن الحكومة قضت على الفقر المدقع عام ٢٠٠٦ وبقي فقر ما دونه، بشارة ما لبثت أن خضعت للتعديل من قبل وزير الإقتصاد

كيف يقنع أصحاب المسح خمسة ملايين فقيراً، وعشرة ملايين مديوناً، وتسعة ملايين مستأجراً، ومليون عاطل عن العمل، بأنهم من أسعد الخلق عربياً؟

والتخطيط خالد القصيبي حين قال بعيد ذلك بأن الحكومة ستقضي على الفقر المدقع في عام ٢٠٠٩. لكن ما غاب في (بشارات) الوزراء كان كفيلاً بتبديد آمال الملايين، أعني أزمة غلاء الأسعار، حيث بات كثيرون عاجزين عن الإيفاء بالحد الأدنى من الحاجات المعيشية الضرورية.

من الطبيعي أن تطلق الأزمات المعيشية المتصاعدة موجات سخط وأشكالاً من التمرد التي قد تتبلور في إطار حركات عنفية يحرّكها الحرمان في التعبير عن مطالبها المشروعة، خصوصاً مع تهافت مبررات الحرمان من قبل الدولة، التي تشهد طفرة إقتصادية غير مسبوقة في تاريخها. لماذا لم نسمع عن نتائج ملموسة لمشاريع مكافحة الفقر، وإسكان الفقراء، ومحاربة البطالة، فيما تملؤ أسماعنا وأبصارنا أنباء وصور الفقراء والعاطلين، وزيادة معدلات الجريمة والطلاق والمرضى النفسيين والإنتحار..وهو سؤال برسم من أجروا المسح، الذين كان يفترض فيهم الإطلاع على أحوال البلاد والعباد قبل أن يعلنوا نتائج ليست فقط حالمة وغير واقعية بل تثير شكوكاً في من أجراها، خصوصاً في ظل أحاديث كثيرة عن (تمويل



إرفع رأسك أنت في دولة ملك الجيوب!

سعودي) لكثير من المؤسسات الإعلامية والبحثية والإستطلاعية في العالم من أجل تحسين صورة المملكة. فهل سأل هؤلاء المسحيون عن مصير الفائض المالي في موازنات الاعوام الثلاثة الماضية، وفي أية بنوك أودعت، وعن سر الصفقات العسكرية الفلكية التي جرت بين السعودية والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.. في وقت مازالت فضائح اليمامة تتدفق بمرور الوقت.

كيف يقنع المسحيون خمسة ملايين فقيراً، وعشرة ملايين مديوناً، وتسعة ملايين مستأجراً، ومليون عاطل عن العمل، بأنهم من أسعد الخلق عربياً، فيما تنعم الشعوب المجاورة لهم في الجانب الغربي من الخليج بأحوال معيشية أفضل بكثير مما هي عليه في بلادهم (راجع الأعداد السابقة من الحجاز)؟



شاهدة على منجزات (لجنة مكافحة الفقر)!

هل لأن البلاد تجني مليار ونصف المليار دولار يومياً، يجعل أهله من الأكثر سعادةً وكأننا نتحدث عن مملكة يحكمها أمراء يتفجّر الورع من جوانبهم، وتقصر أيديهم عن المساس بالمال العام الذي هو حق للعباد كافة في هذه البلاد. مع أن القاصي والداني يعلمان بأن أمراءنا مشغولون بتحرير المال العام من قبضة الدولة، التي أصبحت متاعاً لهم ولأبنائهم.

على وقع حوادث فساد مشايخ الوهابية المتكررة

التطهرية الوهابية المزعومة في مهب الريح

محمد شمس

الوهابية تزعم الطهر، وتزعم الصفاء لنفسها ولأتباعها دون غيرها، حتى أن الملك عبدالعزيز زعم أمام المعتمد السياسي في البحرين الكولونيل ديكسون، وذلك أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، بأن الإخوان (الوهابيين) يتبنّون أصفى وأنقى عقيدة في الكون، وأن من عداها من المسلمين مشركين أسوأ من الكفار المسيحيين أنفسهم.

قد يكون البعض خاصة بين الغربيين قد وجد في الوهابية حركة تطهرية، وهم أطلقوا عليها تلك الصفة بداية تمدّدها لتكوين الدولة، وهو أمرٌ غير صحيح في أصله، إلا أنه لا يجادل أحدٌ اليوم بأن الجسد الوهابي موبوء بكل الأمراض التي هي في كل المجتمعات عامة، وتصيب كل الحركات أيضاً فكرية أو عقدية أو سياسية أو تجمع بين كل هذا.

مزاعم الصفاء والنقاء كانت ضرورية لتمييز الأتباع عن غيرهم، ولتحملهم رسالة الى العالم بأنهم (الأفضل والأتقى والأعز والموحدين دون غيرهم) وبالتالي يكونوا الأحق بحكم هذه البسيطة، عبر قتل الآخر ونهب أرضه وطرده والإعتداء على عرضه باعتباره مشركاً. أي أن فكرة ادعاء الصفاء والنقاء ـ والوهابية ليست إلا مثالاً فهناك آخرون قالوا بذلك قبلها وبعدها ـ ما هي إلا مقدمة لمبررات وأفعال غير صافية وغير نقية ودنيوية بل ودموية أيضاً. أي أن الإدعاء وفر الحافز للفعل العسكري (احتلال الحجاز والأحساء والجنوب) كما وفر للأتباع الوهابيين المشروعية لقتال الآخر وإعمال السيف فيه عبر المذابح الوهابية المعروفة والمتكررة كما في الطائف وغيرها.

هل كانت الوهابية صافية عن الأغراض الدنيوية.. بالطبع لا؟ ولم يكن ابن سعود ـ عبدالعزيز ـ يرى فيها إلا أداة لبلوغ الحكم وزيادة رقعة مملكته الوراثية. فيما كان مشايخ الوهابية يرون بأن تشكيل الدولة ـ نقول هذا تجاوزاً ـ والسيطرة عليها وعلى مغانمها سيستخدم لإعلاء شأنهم وشأن الوهابية في رؤية طائفية ترى في كل ما كان يجري مكسباً مذهبياً ومادياً على حدّ سواء. لا شك أن بعض مشايخ الوهابية كانوا في ذلك الوقت المبكر يتمتعون بقدر من الزهد، ولكن أيضاً كان من الواضح أيضاً أن أكثرهم سدّ عينه عن التجاوزات التي تأتي من آل سعود أو من أتباعهم، في حين انهم كانوا يعاقبون المخالف لمذهبهم على تلك التجاوزات. وفي ذلك الوقت المبكر أيضاً، كان هناك مشايخ (سلطة) يستطيع المرء أن يتبيّنهم، وكان ابن سعود يختارهم بالخصوص لينفذوا إرادته.

أما عامة الوهابيين وخاصة جيش الإخوان، فلم يتغير عليهم شيء كثير، فالنهب الذي كانوا يمارسونه قبيل أسلمتهم أو (توهيبهم) باسم القبيلة، أصبح يسمى جهاداً، وما ينهبونه يسمّى غنائم، والمهم أن يعطوا الخمس للإمام (ابن سعود). ولكن حين شحّت الموارد بعد احتلال الحجاز، وجرى الإخلال بتوزيع السلطة فاحتكرها عبدالعزيز وعائلته، ثار الإخوان، وتبيّن أن ولاءهم للوهابية أضعف من ولائهم لقبائلهم، وطفقوا يتهمون المشايخ الوهابيين في دينهم، ما يعني أن الوهابية كانت للجيش الإخواني مجرد طريقة أخرى للعيش والكسب أكثر من كونها معتقداً يتعارض مع أفعالهم، وهو لم يكن يتعارض مع أفعالهم الشنيعة الدموية إلا بعد أن وقفوا ضد آل سعود!

المهم هنا، أنه وبعد أن قامت الدولة، ضعف المشايخ الوهابيون بسبب ضرب الجناح العسكري (الإخوان) الذي كان موالياً لهم قبل تمرده، ولكن جرى تعويضهم بمكاسب معنوية ومادية من نوع آخر. تلك المكاسب السياسية والمادية باعتبارهم جزء مكوناً للسلطة أفسدت الكثير منهم، ولعب الفساد في الجهاز الديني حتى نخره من أعماقه، حتى صار هناك القليل جداً من المشايخ الذين يرفضون الأعطيات، وصارت الأكثرية مرفهة، تسكن القصور، وتسافر بجوازات دبلوماسية، وتتمتع بما يتمتع به الوزراء وأكثر من رواتب ضخمة واحترام وأضواء.

السلطة مفسدة بطبعها، وقد أفسدت معظمهم.

وإذا كان هناك من جدل قديم حول ما إذا كانت الوهابية في معتقداتها وأتباعها وقياداتها تطهرية أم لا، فإن الجدل اليوم محسوم تقريباً. ففساد المشايخ والقضاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومدرسي أفكارهم وتابعيهم من المسلمين الآخرين، تجد فضائحهم تملأ البلاد طولا وعرضاً. في الماضي لم يكن أحدٌ يتحدث عن ذلك. أما اليوم، فتسمع عن رشاواهم كقضاة، وفساد مسلكهم كأفراد، هم كذلك في جباية الزكاة، وهم كذلك ككتاب عدل، وهم كذلك كمدرسين، وهم كذلك كشرطة دينية.

خلال الأشهر الماضية، طفت على السطح قضايا كثيرة من هذا النوع. فهناك القاضي الذي وجد في دبي واعتقل لأنه يتعاطى الحشيش وأفعال شائنة أخرى. وهناك رجل الهيئة الذي اختلى بامرأة (شغالة) في الطائف، وهناك القاضي الذي باع دينه في أحكام قضائية أدت الى مقتل أفراد ظلماً وعدواناً في الجنوب، وهناك الشيخ الذي وجد يفعل الفاحشة مع إحدى قريبات زوجته، وهكذا.

ومع ان الوهابية وإعلامها يريد التغطية بشتى الصور على تلك الأفعال حتى تلك التي وقعت في دبي، إلا أن ما هو معروف عن الطاقم الديني الوهابي أنه مجيد للكلام، ومجيد للزعم بالتطهر، ولكنه في واقعه يمارس الجريمة، ويتهم بها غيره. ويحاكم الآخر المختلف على الصغائر المختلف حولها، وهو يمارسها بالسرّ. لهذا ظهرت أصوات سلفية وهابية شعبية تطالب بإصلاح القضاء والقضاة، ووقف تجاوزات رجال هيئة الأمر



اللحيدان: الملح فسد!

بالمعروف والنهي عن المنكر الذين لقي بعضهم حتفه قتلاً على يد مواطنين بسبب تعدياتهم وفسادهم.

الوهابيون ينصبون الأفخاخ لمخالفيهم من أجل إدانتهم ـ وذلك بالتواطؤ مع آل سعود ـ لأن أولئك ينتقدون السلطة، فلا بد من تلويث سمعتهم، كما حدث مع عشرات الأفراد، ولكن الله أبى إلا أن يكشف الوهابيين ورجالهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد، فيظهروا الى جانب السراق والمجرمين واصحاب المخدرات، ومنتهكي الأعراض، والقتلة. وحتى لو برّأهم القضاء كما هي العادة، مثلما هو الحال مع حوادث القتل التي يقترفونها، فإن طهارة الجهاز الوهابي الديني المزعوم والتي يفاخرون بها، ويشتمون الأزهر ورجالات الحجاز الدينيين بفقدانها، صارت في خبر كان. فليكفوا عن مزاعمهم ولبس ثياب التقى والزهد، فما هم إلا نسخة أقلّ رداءة من أصنامهم آل سعود، الذين ما وجدوا منكراً إلا فعلوه.

صراع الأجيال السلفية

بين تصنيم الدولة وتجريمها

محمد الأنصاري

الوهابية الرسمية: نموذج تسويقي

على الضد من الإيمان التقليدي بمفهوم الأمة، تبدو إشادات علماء المذهب الوهابي بالدولة السعودية تعبيراً عن حاجة، ومصلحة، وهدف أكثر من كونها تعبيراً عن موقف ديني مجرّد. بعد تشكّل خطوط أيديولوجية على قاعدة سياسية داخل المدرسة السلفية خلال العقدين الماضيين، بات العلماء التقليديون الذين ينتمون إلى كبار السن يشكّلون طبقة متجانسة تمارس دوراً مزدوجاً في الحراسة على العقيدة وحماية المشروعية الدينية للدولة.

قبل الإنشقاق العمودي في التيار السلفي إبان حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١، كان كبار العلماء يواجهون معارضي الدولة من القوى الوطنية والعلمانية واليسارية بخطاب عقدي شمولي، تعكسه كلمات التزكية والتنزيه للدولة السعودية التي أطلقها العلماء. ففي كلمة للمفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز إن (العداء لهذه الدولة عداءً للحق، عداءً للتوحيد)، وفي كلمة للشيخ محمد بن عثيمين (لا يوجد ـ الحمد لله ـ مثل بلادنا اليوم في التوحيد وتحكيم الشريعة)، فيما أشاد الشيخ صالح بن فوزان الفوزان بدعم الدولة للمناشط الدعوية، وقال بأنها (منذ نشأت وهي تناصر الدين وأهله، وما قامت إلا على هذا الأساس، وما تبذله الآن من مناصرة المسلمين في كل مكان بالمساعدات المالية، وبناء المراكز الإسلامية والمساجد، وإرسال الدعاة، وطبع الكتب وعلى رأسها القرآن الكريم، وفتح المعاهد العلمية، والكليات الشرعيّة، وتحكيمها للشريعة الإسلامية، وجعل جهة مستقلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل بلد؛ كل ذلك دليل واضح على مناصرتها للإسلام وأهله..).

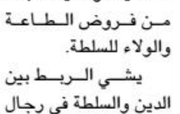
إشادات العلماء بالدولة ليست تزكية لها بالضرورة، وإنما تنطوي على إلزام لها، فمشروعيتها قائمة على الإمتثال بالتعاليم الوهابية

هذه الإشادات، على أية حال، لا تقف عند مستوى تزكية الدولة، وإنما تنطوي على إلزام لها أيضاً، فهي ليست إشادة مفتوحة وغير مشروطة، بل هو توصيف لما تجب أن تكون عليه الدولة، وهو ما يدركه رجال الدين والدولة معاً، وقد عبّر عن ذلك الشيخ ناصر العمر في مقالة له عن مفهوم (ولي الأمر)، حين أوقف مشروعية الدولة على امتثالها بالتعاليم المذهبية.

يتم تفسير موقف العلماء من الدولة بصورة موحّدة وتكرارية على هذا النحو: لا بد لكل دعوة من دولة تضطلع بحمايتها ومناصرتها، وأن ضمان ديمومة الدعوة يتوقف على وجود السلطان المؤازر لها، لأن في بقائها بقاءها وفي قوتها قوتها، وإنما تنتصر الدعوة باحتضان الدولة لها ودعمها. تملي هذه الحميمية إلتزاماً متبادلاً، كما تفرض على الدعاة تنزيه الكيان الضامن لوجودهم، وتذكير المجتمع/ المحكوم/ الرعيّة بمشروعية الدولة وطهرها الديني بدرجة أساسية، وما يستتبعه من فروض الطاعة والولاء للسلطة.



ابن باز: العداء للدولة عداء للحق!



يشي الربط بين الدين والسلطة في رجال الدولة بنزوع نحو إبقاء الأخيرة ضمن الضوابط الدينية والإجتماعية والسياسية التي رسمها التحالف التاريخي بين محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب. وكانت المرحلة المعيارية في التاريخ الإسلامي، نموذجاً إرشادياً يراد إعادة إنتاجه في التجربة الوهابية السعودية، حيث يتم التأكيد على أن الدولة السعودية هي (خلافة نبوة)، ولهذا يمكن تفسير إسباغ صفة إمام المسلمين على محمد بن سعود، وقد عكس علماء الدولة السعودية الثانية الذين نعوا زوال الملك السعودي الوهابي، بفعل انحراف السلطة عن حدود الشرع، فحوّلوا السلطة إلى شأن دنيوي وملك.

القراءة السلفية لتجربة الدولة السعودية وأيضاً مشروعيتها تتوسّل بالمتابعة المتوالية للدعوة والامتثال الصارم لتعاليمها، كشرط الجمع بين مهمتي الدعوة والدولة، أو بالأحرى تحويل الدولة إلى مشروع دعوي، وإسباغ لقب الإمام على الحاكم من آل سعود.

تحتفظ الذاكرة السلفية بتجارب ملوك سعوديين نالوا وسام الإمام، بفعل تطبيقهم الأمين للتعاليم الوهابية، فبعد رحيل محمد بن سعود، الذي تقلّد منصب الإمام بالرغم من وجود مؤسس المذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تولى عبد العزيز بن محمد، الوارث لسلطتين دينية زمنية بعد وفاه والده الحاكم، ووفاة الشيخ إبن عبد الوهاب، فمسك

بزمام الإمامة، وتولى بنفسه إمامة المصلين وخطبة الجمعة، وشجّع دراسة العلوم الشرعية في الجوامع. ولكن من جاء بعده لم يقتف ذات السيرة فأحال الدولة إلى شأن دنيوي، الأمر الذي أفضى في نهاية المطاف إلى نهاية الدولة السعودية الأولى. في تقويم العلماء، أن حفظ الدولة وديمومتها متوقف على امتثالها بخط الدعوة، وأن الدين وحده الكفيل بتزويدها بضمانة البقاء على قيد الحياة.

تنبّه أمراء آل سعود إلى أن دولتهم تبقى على الدوام عرضة لخطر الفناء ما لم تستعر معنى دينياً تحققه العلاقة الحميمية مع العلماء. ولذلك، قرر تركي بن عبد الله، في الدولة السعودية الثانية، العودة إلى إحياء المفهوم الديني الصارم لعقيدة التوحيد، وترسيخ قواعد الدولة في الوسط الإجتماعي السلفي من خلال تفعيل العلاقة بين العلماء والأمراء، حيث استعان بالشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ومن بعده إبنه الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، الذين توليّا الشؤون الدينية للدولة.

تنبّه أمراء آل سعود إلى أن دولتهم تبقى على الدوام عرضة لخطر الفناء ما لم تستعر معنى دينياً تحققه العلاقة الحميمة مع علماء الوهابية

ذات الإشكالية تكررت في عهد عبد العزيز، مؤسس الدولة السعودية الثالثة، حين قرر خوض معاركه نحو السلطة مستقلاً عن دعم العلماء. وكما أسلفنا في العدد السابق، فإن عبد العزيز كان يراهن في الفترة ما بين ١٩٠٢ وحتى ١٩١٤ على مشروع سياسي على قاعدة (إستعادة ملك الآباء والأجداد)، ولكنه اصطدم بحقائق كبرى على الأرض التي يقف عليها، فهو أمام سلطة آل الرشيد، وحركة الأخوان التي أسسها عبد الكريم المغربي وقادها لاحقاً فيصل الدويش وسلطان بن بجاد، إضافة إلى سلطة العلماء المتمثّلة في آل الشيخ وعوائل أخرى دينية شكّلت شبكة من التحالفات الإجتماعية النجدية التي لا يمكن لأية قوة قبلية تجاوزها، ما لم تؤسس لرابطة من نوع ما معها.

وبالرغم من إنتماء آل الرشيد إلى العقيدة الوهابية، إلا أنهم لم يؤسسوا لسياسة إستيعابية تخترق الخطوط القبلية الأخرى أو تمهّد لتحالف مع القوة الدينية الكبرى في منطقة نجد، ويعود ذلك إلى غياب تجربة تحالف سابقة بين آل الرشيد والعلماء الوهابيين. ولم يكن عبد العزيز بارعاً بدرجة كافية في اختراق المجالات الحيوية للقبائل النجدية لولا استعانته بتجربة التحالف الوهابي السعودي، وتقاربه مع العلماء الذين مهّدوا لنجاح مشروعه السياسي من خلال تقديمه كوارث شرعي للسلطة، وأيضاً تثمير تحالفهم مع زعماء القبائل القويّة والمسلحة في إقليم نجد.

في الفترة ما بين ١٩١٤ ـ ١٩٢٦، أظهر عبد العزيز نزوعاً متطرّفاً في التزامه بالتعاليم الوهابية، وتقمّص شخصية رجل الدعوة المتزمّت، فكان يكفّر سكان المناطق الأخرى سواء في الحجاز أو الأحساء، وكان يردد ما يعتقده علماء المذهب في سكّان العراق وبلاد الشام ومصر، الأمر الذي منحه موقعاً فريداً وسط أنصاره الجدد، وكذلك العلماء الذين اعتبروه إماماً للدين، وحارساً على دعوة التوحيد، ودعوتهم الى تمكينه ونصرته كيما يوحّد الجزيرة العربية على العقيدة السلفية، وإرغام سكّانها على الدخول فيها.

وكان إنشقاق قادة الإخوان عن مشروع عبد العزيز بعد احتلال الحجاز، على خلفية تعطيل الجهاد، وتنصّله من التزاماته الخاصة بمدّ مساحة الدعوة الى المناطق المجاورة، وقبوله بالمعادلة الجيوبوليتيكة الإقليمية والدولية التي رسمها البريطانيون بالاتفاق مع الفرنسيين، وتداعياتها على الوحدة الداخلية للجيش العقائدي لابن سعود، قد أفضى إلى تخليه عن صفة الإمام الأعظم، ما يجعله مجرد إمام أصغر، تمهيداً لمرحلة إنتقالية يكون فيها عبد العزيز ملكاً دنيوياً.

ولكن، بالرغم من ذلك، إلا أن إبن سعود وحتى بعد إعلان دولته سنة ١٩٣٢ حافظ على صفته الدينية، ولم يقرر التخلي عن لقب الإمام بصورة نهائية. ونلاحظ أن ثمة إصراراً متواصلاً على تأكيد الصفة الدينية للحكّام السعوديين. ففي الفترة ما بين ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢ تعرّضت المصداقية الدينية للدولة السعودية إلى إمتحان خطير خلال عهد الملك سعود، الذي كان ينظر إليه بوصفه خروجاً صارخاً عن خط العلاقة بين الدعوة والدولة، وقد نأى العلماء الوهابيون بأنفسهم وأتباعهم عن البلاط السعودي، الذي بات الفساد المالي والإخلاقي يحيط بجوانبه كافة، الأمر الذي سهّل مهمة توظيف العلماء في صراع الأجنحة على السلطة، ونجح المناهضون لسياسة الملك سعود في الحكم بإقناع العلماء بإصدار فتوى داعمة لتنحيته عن العرش.

وبعد صعوده الى العرش، واجه الملك فيصل تحديات داخلية وخارجية ترتبط بالأيديولوجية المشرعنة للدولة السعودية، في ظل الصعود المتواصل وبوتيرة متسارعة لنجم القومية العربية بقيادة الزعيم المصري جمال عبد الناصر، والتي تركت تأثيراتها المباشرة والفاعلة على الداخل، برزت في تشكيلات قومية تطالب بتعميم النموذج الناصري في الجزيرة العربية. أعاد الملك فيصل في رد فعل على انتشار الثقافة القومية، إحياء المفهوم الديني للدولة السعودية، وقرر إسباغ صفة الإمام على منصبه السياسي، فأصبح ملكاً وإماماً، وفتح الباب أمام العلماء كيما يمارسوا دور العاضد لمشروعية الدولة، وبرز الشيخ محمد بن إبراهيم كمفتي عام للمملكة يمدّها بالفتاوى الدينية، ويستقطب العلماء الكبار من أجل تشكيل ما يمكن وصفه بجبهة ردع ديني في مواجهة تحديات القومية الناصرية، التي تعرّضت لانتقادات حادة من العلماء. وبالرغم من أن الشيخ محمد بن إبراهيم عارض تسرّب بعض القوانين الأجنبية التي يصمها بالكافرة الى النظام القضائي السعودي، إلا أنه عبّر في مواقف عدّة عن معارضته للخروج على الدولة السعودية أو تعريض وجودها للخطر.

ابن عثيمين: دولة التوحيد الوحيدة!

لم يحد الملوك السعوديون اللاحقون عن ملميات التحالف التاريخي بين الوهابية وآل سعود، بالرغم من الصدامات المتقطّعة التي وقعت خلال العقود الثلاثة الأخيرة سواء من خلال حركة التمرد التي قادها جهيمان العتيبي في نوفمبر ١٩٧٩، أو النشاطات الإحتجاجية التي قادها مشايخ الصحوة في التيار السلفي الناشط إبان أزمة الخليج الثانية، والتي أنجبت معها خطوطاً فكرية وسياسية متنوّعة، ثم تظهّرت في هيئة راديكالية بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

ثمة شكلان للوهابية يتبلوران على وقع التجاذب داخل العائلة المالكة، وهابية رسمية يراد تسويقها للعالم، ووهابية شعبية تمثل النموذج الأصلي التاريخي

في انتفاضة جهيمان العتيبي، لم تكن المشروعية الدينية للدولة السعودية قد خضعت بعد لتحدّ جاد، ولذلك لم يكن الملك خالد بحاجة إلى زيادة الجرعة الدينية، رغم ما عرف عنه من بساطة ومحافظة، لا يخفف ذلك من غلواء الأمراء السديريين الذين مارسوا في عهده اقترافات غير مبررة، مثل تصفية عوائل المتمرّدين في انتفاضة الحرم جسدياً خشية الثأر.

وبعد وصوله الى العرش سنة ١٩٨٢، جنح الملك فهد إلى تصعيد الخطاب الديني لمواجهة النموذج الديني الذي بشّرت به الثورة الإيرانية، فأضفى على منصبه لقب خادم الحرمين الشريفين، وفتّح الأبواب أمام العلماء والدعاة وطلاّب الشريعة كيما يحققوا أكبر اكتساح في تاريخ الدولة السعودية الثالثة. وكان من المفارقات المثيرة للدهشة، أن تلتقي نزعتان في عهد واحد، الإنفتاح الفارط على الغرب والولايات المتحدة بما تنطوي عليه من أشكال فساد متنوّعة، وإحياء للنزعة الدينية المتزّمتة التي أطلقت العنان لنشوء تيار سلفي واسع تمدّد خارج حدود سيطرة الدولة، وفي باطنه نشأت أنوية الجماعات المسلحة التي وجدت طريقها في المرحلة الأولى الى أفغانستان ومنه إلى جمهوريات آسيا الوسطى، ثم أخذت شكلها التنظيمي المسلّح بقيادة أسامة بن لادن.

ما يلفت في عهد الملك فهد، وخصوصاً في فترة احتدام الصراع بين التيار السلفي والدولة، أن ثمة إصراراً لدى الإدارة الأميركية على ضرورة إدخال إصلاحات جوهرية في النظام السياسي السعودي من أجل تخفيف الإحتقان الداخلي، خصوصاً بعد أن عبّرت قوى سياسية مختلفة في عرائض عدّة عن مطالب صريحة بضرورة وضع دستور للدولة، وإجراء إنتخابات تشريعية، وإصلاح النظام القضائي، وتطوير النظام التعليمي، وتخفيف القيود المفروضة على الحريات العامة، والسماح بمشاركة المرأة في الحياة السياسية. إلا أن الملك فهد تمسّك بخيار المواجهة مع الظواهر الاحتجاجية.

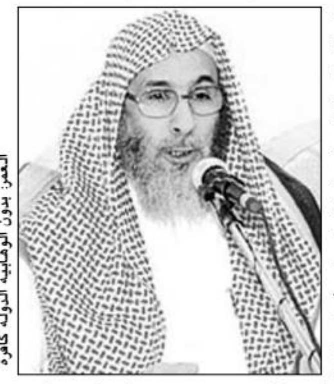
الوهابية التكفيرية: النموذج الأصلي

(كيف يصبح السعودي إرهابياً عالمياً؟) سؤال طرحه الاعلامي السعودي المقرّب من العائلة المالكة عبد الرحمن الراشد بعيد مواجهات المسجد الأحمر في باكستان، وتعقيباً على إعلان السفير السعودي لدى باكستان نفي فيه وجود سعوديين بين مقاتلي المسجد الأحمر. لم يكن سؤالاً محايداً، بطبيعة الحال، وإنما هو منتوج تجربة مريرة وبيئة متلبّدة بهواجس التورّط من قبل أشخاص ينتمون إلى المدرسة السلفية، أو خضعوا تحت تأثير التعليمات الدينيوية من قبل أمراء الجهاد.

ما عنى به كثيرون بمن فيهم كتيبة الإعلاميين السعوديين المقرّبين من العائلة المالكة هو الآثار التي تركها الفعل القتالي للجماعات السلفية، في محاولة تنطوي على نزعة هروبية من تشخيص بدقة بالغة (المضخ الأيديولوجي) الذي يمارس دور الشاحن للعاطفة الدينية الفطرية كيما تتحوّل في لحظة ما الى مادة شديدة الإنفجار.

كل أولئك الذين تشكّل وعيهم بالفعل الجهادي السلفي ينطلقون من موعد الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١ بوصفه التظهير المدوّي لأيديولوجية دينية متطرفة عكفت على إخفاء هويتها العملانية لعقود طويلة. الهوية العالمية للإرهاب السعودي لم يبدأ في الحادي عشر من سبتمبر، وإنما بدأ قبل ذلك التاريخ بقرنين حين تم صوغ نظرية كونية تقوم على ثلاثة أضلاع: التكفير، العزلة، الجهاد وصولاً إلى تأسيس الخلافة بالمقاييس السلفية.

يمثّل كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، الذي جمعه الشيخ عبد الرحمن بن محمد القاسم الحنبلي النجدي، وطبّع عدّة مرات بتمويل من الأمراء، مصدراً أساسياً للذاكرة الوهابية، إذ يضم (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، علماً بأن الشيخ عبد الرحمن ابن القاسم توفي عام ١٣٩٢هـ. يشتمل الكتاب، إضافة إلى جوانب أخرى هامة، أحكام بالتكفير ضد فرق، وقبائل، ومناطق، ومذاهب وعلماء. فقد وصف علماء المذهب الوهابي علماء نجد غير الوهابيين وكذلك القضاة بالجهل بالإسلام، وأن علماء الحنابلة وغيرهم الذين عاصروا الشيخ محمد بن عبد الوهاب مشركون شركاً أكبر يخرجهم من الملّة، وأن المسلمين بنجد والحجاز ينكرون البعث، وأن مكة والمدينة ديار كفر وأهلها كفار، وتتسع قائمة الكفار لتشمل: البدو، وقبيلة عنزة، والظفير، وأهل العيينة والدرعية، لتستوعب السواد الأعظم من المسلمين، وتكفير من يتحرّج من تكفير من (كفّرهم الله!)، وتكفير أهل الوشم وسدير والإحساء ونجد، بحجة عبادة الحجر والشجر، وتكفير بلاد الشام ومصر والعراق.


العمر: بدون الوهابية الدولة كافرة

ويظهر من منهج التكفير الوهابي أنه يؤسس لأيديولوجية كونية ترى في العالم كفراً مباحاً، يقتضى الإنسلاخ منه من أجل التأهّب

للإنقضاض عليه في مرحلة لاحقة.

لم يكن من قبيل المصادفة المحض أن يتسنّم السعوديون المرتبة الأولى في قائمة المقاتلين أينما كان للفعل الجهادوي جولة منذ الحادي عشر من سبتمبر (١٥ من أصل ١٩ إنتحارياً)، أو في العراق حيث احتّل السعوديون المرتبة الأولى في قائمة الإنتحاريين، أو في عدد المقاتلين المعتقلين، واكتشاف أن ثلثي المقاتلين في نهر البارد هم إما من السعوديين أو من المنخرطين في مجاميع قتالية يقودها سعوديون، إلى جانب سلسلة طويلة من العمليات القتالية في المغرب العربي (الجزائر والمغرب وموريتانيا)، وجنوب شرق آسيا، دع عنك أفغانستان وباكستان.

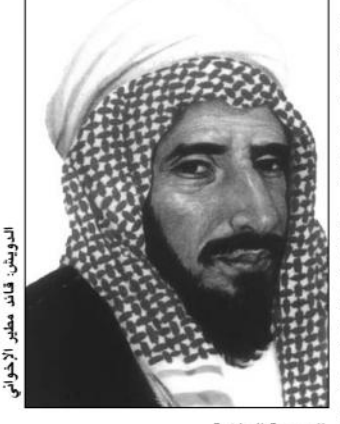
ما يخطىء الإعلامي السعودي في تشخيصه هو أن تحوّل السعودي السلفي إلى مشكلة عالمية لم يكن طارئاً، تماماً على الضد من دعوى المسالمة التي لم تكن واردة في التكوين الأيديولوجي والتربية الجهادية لدى أنصار المدرسة السلفية السعودية. فمن يتحدّث عن (المعضلة السعودية) ينطلق من لحظة وعيه بظهور زعيم القاعدة أسامة بن لادن، فيما يجهل تاريخاً ناشطاً من العمل العنفي الداخلي والإقليمي، مع إلفات النظر إلى أن من يتحدث عن البعد العالمي للعنف السلفي السعودي لا يقدّم بالضرورة شهادة براءة للبعدين المحلي والإقليمي.

وكما جرت العادة، فإن المشكلة لا ينظر فيها ما لم تأخذ بعداً عالمياً، خصوصاً حين يكون لهذا البعد إرتدادات محلية، مرتبطة بمكانة وسمعة وروابط الدولة بالعالم الخارجي ـ الغربي ـ الحليف. ومهما يكن، فإن من ينزع نحو توظيف كل أدوات الدفاع العفوي أو المقصود ضد الإتهامات الخارجية، قد استنفذ كل طاقته بعد أن توصّل إلى حقيقة كونه يدافع عن قضية خاسرة سلفاً، فالأدلة المتراكمة لا تعطي مجالاً للإبداع في الدفاع، فضلاً عن ابتكار وسائل مراوغة بعد أن ضاقت مساحة المناورة، فالتطرف السعودي ليس مخلوقاً جديداً، تماماً كما أن الرؤية السياسية المتمرّدة ليست مستوردة من الخارج، فالمكتبة السلفية الحديثة حافلة بكل ما من شأنه إقناع العالم كله بأن التطرف ليس بحاجة إلى معين من الخارج، بل فيها ما يكفي للتصدير إلى أرجاء العالم.

القراءة السلفية لتجربة ومشروعية الدولة السعودية ترى الامتثال الصارم لتعاليم الوهابية كشرط لجمع بين مهمتي الدعوة والدولة وتحويل الدولة إلى مشروع دعوي

بالنسبة لأولئك الذين يشعرون بالقلق من الوقوع في مصيدة (هوية) الإرهاب ومصادره، لا يجادلون طويلاً في تحديد مغذّيات التطرّف، بقدر انشغالهم بعدد الضحايا المحليين الذين يقتنصهم من في الخارج لتحقيق مآرب سياسية، تكون بالضرورة حسب الرواية الإعلامية السعودية الرسمية، خارجية هي الأخرى.

نجزم بأن هناك من يشعر الآن بخيبة أمل من إعادة إنتاج التراث السلفي الحديث، لأنه سهّل على الباحثين مهمة العثور على أدلة دامغة حول الدور الكامل في تنشئة التطرف وتجنيد المقاتلين وتوفير مصادر تمويلهم، فمنظومة المهمات التي يضطلع بها الداخل باتت تعبيراً مطلقاً وشاملاً عن (الخصوصية السعودية)، وأن مجرد إقحام أسماء جماعات دينية في الخارج سواء من مصر أو سوريا أو الأردن، لا يؤدي أكثر من وظيفة تشويشية مؤقتة، لأن الدراسات الأكاديمية التي أعدّت منذ عقود حول هذه الجماعات لا تدع مجالاً للشك في حدود التطرّف التي يمكن أن ترسمها الأفكار المتشددة المنتجة في بلدان المنشأ.


الدويش: قائد مطير الإخواني

بالنسبة للسعودية التي بقي المفعول القتالي لفكرها الديني السلفي خارج النشاط الأكاديمي لعقود طويلة، ولم يتنبّه لهذا المفعول إلا بعد أن دكّت الطائرات الإنتحارية البرجين العملاقين في نيويورك في الحادي عشر من سبتمبر، بات رأسمالها الثقافي متداولاً في الأسواق، في وقت إنكبّ فيه الباحثون الشرقيون والغربيون على سبر الأبعاد المسكوت عنها في المدرسة السلفية.

تحرّكت السلطات السعودية على نحو عاجل من أجل التمويه على مفاعلها الأيديولوجي الراديكالي من خلال الإنخراط واسع النطاق في نشاطات تندرج تحت عنوان الحرب على الإرهاب، لجهة صنع غمامة من التجهيل بالجذور الخفية للتطرّف والمنبع الأساسي للأيديولوجية القتالية.

وفيما يصيب اليأس كل المنافحين عن الموقف الرسمي، خصوصاً حين يكتشفون وقد تحوّل المقاتل السعودي إلى مجرد سلعة للتداول بين جماعات ودول لتحقيق مآربهم السياسية، إذ يتحوّل المقاتل السعودي الى قنبلة بشرية جاهزة للإستعمال في أي وقت وفي أي مكان، بعد أن ينهي الطرف المستغل برمجة القنبلة بطريقة تخدم هدفاً مرسوماً سلفاً، يتحوّل المنافحون بعد ذلك إلى مجرد (نعاة) يندبون حظ شركائهم في الوطن وربما المنطقة والمذهب لأن هناك من نجح في تثمير (سذاجة) المقاتل السعودي كيما يصبح (ألعوبة) بيد الموت، الذي يسوقه نحو قضية لا يعرف طبيعتها ولا الهدف من وراء التضحية تحت عنوانها.

الآن، وبعد أن هدأت زوبعة الدفاع العفوي والمقصود، وبات الحديث يدور عن تسوية جذرية لمعضلة بالغة التعقيد وعميقة الغور، تصبح الوجهة الصحيحة نحو البحث عن مصادر الوعي السلفي المنتجة لجماعات عنفية، يتحوّل أفرادها الى كارهين للحياة، من أجل جنة موعودة أوحى الماسكون زعماً بمفاتيحها بأنها قد أعدّت للقتلة دون حساب لنوع القتال وأخلاقيات المقاتل المسؤول قبل غيره عن تطبيق حدود الشرع، وحفظ الأرواح وليس وأدها، فقد جعل الله سبحانه وتعالى في القصاص حياة، ولم يرده تأسيساً لحالة تحارب

داخلي بين الناس.

في هذا السياق تضيء دراسة نشرتها مجلة (ميدل إيست مونيتور) في يونيو- يوليو ٢٠٠٧، بعنوان (السعودية والوهابية وانتشار الفاشية الدينية السنيّة) أعدّها كورتين وينزر- المبعوث الأميركي الخاص للشرق الأوسط في بداية عهد الرئيس الأسبق رونالد ريغان - على ملاحظات ونتائج تستحق إمعان النظر. فالمصاهرة بين العقيدة والدولة ضمن إطار الخلافة الإسلامية كتأسيس أيديولوجي للتحالف التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، وهبت الأخير وأبنائه سلطة لا يمكن لغير الدين توفيره، فيما شكّلت الدولة رافعة لرسالة كونيّة تقوم على (تطهير الأرض من الكفّار). هي ذات الرسالة، بحسب وينزر، التي أهلّت محاربي الوهابية - السعودية سنة ١٨٠١ لغزو العراق واجتياح مدينة كربلاء، ونهبها وقتل أربعة آلاف من أبنائها. وبعد سيطرة آل سعود على مكة والمدينة في سنة ١٩٢٥ ، قاموا بتدمير الآثار والأضرحة في مقبرة البقيع.

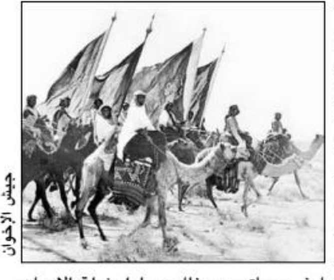
يمضي وينزر في مقاربته للنهوض الوهابي الراديكالي، ويرى بأن قيام المملكة في العام ١٩٣٢ أعطى رجال الدين الوهابيين الذراع الأطول في إدارة الشؤون الدينية والتعاليمية. وبقيت الوهابية محصورة داخل الجزيرة العربية حتى الستينيات من القرن الماضي، عندما هاجر إليها عدد من قيادات الأخوان، صنّفهم وينزر خطأً بكونهم من أتباع سيد قطب، هرباً من بطش نظام عبد الناصر. وهنا ينحرف وينزر في مقاربته والتي تؤسس لسياق تحليلي مختلف، وبالتالي يوّصل لنتائج لا تستند على مقدّمات صحيحة.

يرى وينزر بأن وصول قيادات الإخوان المسلمين الى السعودية أسس لتحالف ديني يتبنى الجهاد (ضد الحكومات العلمانية الكافرة). ويقول وينزر (إن التلاقح بين الوهابية المحافظة إجتماعيا وثقافيا بالقطبية ((سيد قطب)) السياسية الراديكالية أنتج الإسلام السياسي الوهابي الذي بدوره أنتج تنظيم القاعدة). هنا بالدقة تقع نقطة الإفتراق الأساسية في مقاربة وينزر، كونه يسدل ستاراً من الإهمال على تراث ضخم يعود تشكيله إلى منتصف القرن الثامن عشر، حين بدأ الأباء المؤسسون في إرساء أسس البنى النظرية للمذهب الوهابي القائمة على ثلاثة أضلاع: التكفير، الهجرة، الجهاد.

في تقويم العلماء فإن حفظ الدولة وديمومتها متوقف على امتثالها بالدعوة الوهابية التي تكفل وحدها تزويدها بضمانة البقاء

ما يبدو من السياق التحليلي الذي رسمه وينزر، أنه عقد رابطة زمنية متوالية بين سياقين تاريخيين على قاعدة أيديولوجية، بالرغم من أن الرابطة هذه تنطوي على غواية، حين يصرف النظر عن الجذور الأيديولوجية لجماعات العنف التي بلغت ذروتها التنظيمية في شبكة القاعدة. فثمة منابع أيديولوجية مكتومة تتوارى خلف مشهد يراد إحضار بدائل عنه من الخارج (الإخوان المسلمين في مصر)، ما يبعث رسالة خفيّة بوجود ضحايا محليين لخارج مسؤول عن تنشئة ثقافة راديكالية وسط المتحمّسين للدفاع عن الدين وإن تطلب الإيثار بالدم والروح.

وحتى النزعة العالمية للجماعات السلفية المسلّحة التي تتفيأ شبكة القاعدة، لم تكن تتغذى على الفكر الإخواني أو القطبي، وإن مثّل البعد العالمي ركناً أساسياً في استراتيجية عمل جماعة الإخوان. ففي التراث السلفي الوهابي ما يكشف بوضوح عن رؤية كونية تقوم على تكفير العالم بمتطلباتها العملانية: الهجرة والجهاد. هكذا هي الصياغة الأيديولوجية التي قدّمها الشيخ المؤسس محمد بن عبد الوهاب، واشتغل أبناؤه وحواريّوه وروّاد مدرسته الفكرية على تطويرها. وربما كان الشيخ الفوزان في كتابه (التوحيد) شديد الإفصاح في التعبير عن تلك الرؤية الكونية للوهابية حين عارض وضع العالم بأسره في غمار الجاهلية الأولى، واقتطع مساحة صغيرة تستوعب الجماعة الوهابية وتفصلها عن عالم الجاهلية، على أساس أنهم وحدهم من أفلحوا في الوصول الى الحقيقة الدينية وتطبيقها في حياتهم، وبذلك حملوا شعلة الإيمان الديني إلى أرجاء العالم.


جيش الإخوان

ما يجعل وينزر مفتوناً بربط السياقين السلفي والإخواني إبتداءً من الستينيات، ما يتوفر لديه من مشتركات سواء على مستوى الأفكار، أو الأشخاص، وأخيراً إستراتيجيات العمل. ولكن سبراً جاداً وعميقاً للمنابع الفكرية للجماعات القاعدية، على سبيل التمثيل، يضعنا أمام تراث مستقل لا صلة له بالرساميل الحركية والمذهبية في مصر وبلاد الشام.

ما يجدر الإشارة إليه، أن إنتفاضة الحرم في نوفمبر عام ١٩٧٩، وبالرغم من انخراط عناصر من جنسيات عربية وإسلامية متعددة، لم تطرح قضية المنابع الفكرية الخارجية لقادة الإنتفاضة، كون جهيمان العتيبي ورفاقه درسوا في الجامعة الإسلامية بالمدينة. يضاف إلى ذلك، أن الكتيبات التي تركها جهيمان مستمدة من التراث العقدي للوهابية حصرياً، وكذلك من تجربة العلماء في الدولة السعودية، والمحن التي واجهوها في معارضة انحرافات آل سعود عن العقيدة.

وكرد فعل، وجدت العائلة المالكة في الغزو السوفيتي لأفغانستان قناة واسعة ومثالية لتصريف التشدد الديني، ومخرّجاً لعبور المتشددين، فقاموا بتشجيعهم بدعم من كبار العلماء وتوفير المال لآلاف من المقاتلين الذين انخرطوا في مشروع الجهاد الأفغاني بالتنسيق مع الاستخبارات الأميركية. ويضيف وينزر بأن السعودية قامت بإنشاء مدارس دينية وهابية للاجئين الأفغان في الباكستان، وهي نفس المدارس التي أنشأت حركة طالبان التي سيطرت على كابول في ١٩٩٦. وعقب خروج السوفييت، إنتشر (الأفغان العرب) على عدد من البلدان، وشكّلوا خلايا تنظيم القاعدة.

تكفير الدولة السعودية مثّل نقطة انعطاف حاد في فكر الجيل السلفي الجهادي الذي شكّل بدوره ظاهرة إجتماعية وتنظيمية مستقلة عن تأثير العلماء، فأصبح لهذا الجيل، رؤيته العقدية، ومشايخه الذين

يصدرون له الفتاوى، وأمراء حربه. لم يكن يتم ذلك إلا بعد أن أخضع مصداقية كبار العلماء للنقد والتكفير، كونهم مالئوا العائلة المالكة ورضوا بقوانين وضعية كيما تندمج في النظام القضائي، وسمحوا بقدوم قوات أجنبية صليبية للدفاع عن جزيرة العربية. ومنذاك بدأ رفع الحديث النبوي (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) شعاراً للعمل الجهادي، والذي طرحه مشايخ الصحوة في التسعينيات من القرن الماضي، وأصبح في عهدة الجماعات القاعدية في الجزيرة العربية التي نفذت عدّة عمليات عسكرية ضد الأجانب تحت هذا الشعار.

في عهد فهد هناك مفارقة مدهشة: نزعتان متعارضتان تلتقيان، واحدة تنفتح بافراط على أميركا والغرب ومجللة بالفساد، وأخرى تحيي نزعة وهابية عنيفة

وما قيل عن اتفاق بين رئيس الإستخبارات السعودية السابق الأمير تركي الفيصل وزعيم القاعدة بن لادن في منتصف التسعينيات بأن يلتزم الأخير بعدم القيام بهجمات مسلّحة ضد أمراء العائلة المالكة، مقابل الكف عن ملاحقة بن لادن أو قنوات التمويل المالي للقاعدة، وهو ما يفسر عدم قيام الأخيرة بأي عمليات عسكرية نوعيّة ضد منشآت حيوية حكومية، بالرغم من امتلاك القاعدة لصواريخ وقذائف قادرة على دك مصافي النفط وتعطيل خطوط الإنتاج والتصدير لفترة من الوقت، إلا أن القاعدة أقدمت على ما يعرف بـ (العمليات التذكيرية)، حيث كان الطرفان يضربان في مواقع طرفية يراد منها التحذير من تجاوز الخطوط الحمراء. وبحسب بعض المصادر المقرّبة من القاعدة أن الإكتشافات الأمنية لشبكات قاعدية تخطط لضرب منشآت نفطية ليست سوى مونتاج لقصة تغيب الحقيقة عن أجزائها الكبرى، ويبرز فيها الاستعراض الأمني مع بعض الرسائل التحذيرية.

في المقابل، واصلت الحكومة دعمها للمدارس الدينية التي تخرّج متطوّعين للقاعدة، كما سمحت للفكر المتطرف المسؤول عن تربية

صياغة مفهوم الولاء والبراء في مناهج التعليم

تستعد وزارة التربية والتعليم في السعودية لإعادة صياغة مفهوم الولاء والبراء، في المناهج التعليمية في السعودية، والتي أثارت الجدل على مدى سنوات، بين جميع تيارات وأطياف المجتمع السعودي، الذي لم يتوقف منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام٢٠٠١، عن المطالبة بتغيير أو تطوير المناهج الدراسية في السعودية، والبحث عما إذا كان لها علاقة بالإرهاب.

وكشف وزير التربية والتعليم الدكتور عبدالله العبيد أن إعادة صياغة مفهوم الولاء والبراء في المناهج التعليمية في السعودية، ستكون وفق شرع الله وبمشاركة أعضاء من هيئة كبار العلماء، رافضا تحميل منسوبي الوزارة ومناهجها في تخريج الإرهابيين، وقال إنه لا يجب الاستماع إلى من يقذف التهم دون بيّنة أو هدى.

وأكد الدكتور عبدالله العبيد ارتباط المقرر الدراسي بالمرحلة الزمنية التي يكتب فيها، مشيرا إلى أن النهضة التعليمية التي عاشتها المملكة والعالم العربي في الماضي وتأثيرات القضية الفلسطينية عليها كانت واضحة بشكل جلي في المناهج، وقال الدكتور العبيد في ندوة قبة الجزيرة والتي عقدتها صحيفة الجزيرة مؤخراً: إن المناهج السعودية لو لم تتناول الجهاد والتضحية في تلك الفترة لوصفت بالخيانة، مؤكداً أن تبني الخيار الاستراتيجي للسلام في المنطقة يستدعي مناهج تعليمية تخدم هذا التوجه.

وأكدت جميع النتائج التي رصدها الباحثون من التربويين وعلماء الدين والمفكرين أن مناهج التعليم في السعودية ليس لها أي علاقة بالإرهاب ولا تنمي الفكر المتطرف والتكفيري، ومع أن عملية تطوير المناهج قديمة ومستمرة في السعودية إلا أن بعضاً من علماء الدين يرفضون المساس بثوابت الأمة الإسلامية، مؤكدين أن سياسة الدولة السعودية قامت على القرآن والسنة النبوية.

ويوضح مسؤولون عن المناهج في السعودية أن تطوير المناهج موضوع قديم جدا، وأن هذا الأمر مطلب أساسي لكل دول العالم في تطوير المناهج، وليس مرتبطاً بحدث أو مناسبة، وهو عملية مستمرة لأن الدولة تهتم بالتعليم وتطويره بالمنهج والتقويم ولا يمكن فصل جزء عن آخر.

في المقابل، تعكف وزارة التربية والتعليم في السعودية على توزيع ٧ فرق لتأليف المناهج على خمس مناطق تشمل الرياض الشرقية جدة ومكة والقصيم، وهذه الفرق تعمل منذ سنوات. كما تصاعدت الدعوات لإنشاء هيئة مستقلة لتقويم التعليم ومخرجاته، تسهم في تطوير نظم ضبط الجودة في المؤسسات التعليمية. وتطبيق معايير الجودة الشاملة لمخرجات التعليم، وتبني السبل المقننة للعملية التعليمية ومراعاة ما يستجد من تطورات على الصعيدين الإقليمي والعالمي، وتطوير المناهج والمقررات الدراسية، بحيد تركز على المهارات الأساسية بما في ذلك مهارات التفكير الإبداعي وبناء الشخصية والقدرة على الحوار وتطوير القدرة على الإنتاج واحترام العمل.



وزير التعليم

ويعتبر البعض أن هناك مبررات قوية لعملية تطوير شاملة في المناهج الدراسية السعودية وفي كل المراحل التعليمية. فالتعليم حلقات متواصلة ومترابطة ، ولا ينبغي تطوير مرحلة دون أخرى.

ومن المهم جداً الابتعاد عن الأساليب القديمة التي كانت تتبع في تطوير المناهج ،حيد كان ينصب الاهتمام على جانب واحد من جوانب المنهج الدراسي وإهمال الجوانب الأخرى؛ وأن تتصف عملية التطوير بالشمولية وأن تركز على جميع جوانب المنهج الدراسي. كما يطالب البعض بإشراك المؤسسات في عملية التطوير بما أن هذه المناهج وبخاصة في المراحل الدراسية الأخيرة كالجامعات والكليات والمعاهد تهدف إلى إعداد الفرد لينخرط في سوق العمل والالتحاق بمؤسساته

وكانت وزارة التعليم السعودية قد أكدت في وقت سابق أنه إذا كانت المناهج مناسبة لظروف اجتماعية سابقة فإن التطور السريع في المجتمع السعودي المعاصر من حيد المستوى الثقافي والاقتصادي والتقني وأساليب الحياة اليومية يستدعي تغيرا موازيا بالإضافة إلى الاستعداد للتعامل مع ثورة الاتصالات والمعرفة والعولمة والثورة الاقتصادية الأمر الذي يستدعي التعامل مع هذه المؤثرات العالمية من أجل درء مفاسدها والانتفاع بما تنتجه من إمكانات.

يبلغ إجمالي عدد المدارس الحكومية في السعودية ٢٥ ألف مدرسة يدرس بها حوالى ٥ ملايين طالب، فضلا عن أن المملكة تدير رسميا ١٩ مدرسة إسلامية في دول مختلفة من بينها الولايات المتحدة، حيد توجد الأكاديمية السعودية في ضاحية فيرفاكس القريبة من واشنطن.

مقاتلين وانتحاريين بالإنتشار. يعيد وينزر تأكيد ما ثبت في تقارير سابقة عن كثافة الجرعة الدينية في المناهج الدراسية الرسمية، حيث أن أكثر من ثلث المناهج في المدارس السعودية مكرّس لتعاليم الوهابية. وإن تأكيدات الحكومة السعودية بحذف الأجزاء ذات الطبيعة التحريضية ضد الأديان الأخرى، إلا أن تقريراً نشره (فريدوم هاوس) سنة ٢٠٠٦، أشار إلى أن الكتب المدرسية مازالت تشتمل على عبارات تحرّض على الكراهية الدينية، ضد الأديان والمذاهب الإسلامية غير المتوافقة مع المبدأ الوهابي. وكان زعيم القاعدة قد عارض في أبريل ٢٠٠٦ تصحيح المناهد الدراسية، في تعضيد لافت لبيان صادر عن رجال دين متشددين ضد إجراء تعديلات أو حذف للمواد الدينية التي تحرّض على العداء ضد الأديان.

لم تتوقف الفتاوى الجهادية في الداخل، من شخصيات وهابية رسمية وشعبية، بالرغم من البيانات العلنية التي تشكك في مشروعية العمل الجهادي في العراق، وقد جاءت البيانات تعضيداً لموقف سياسي بعد أن واجهت الحكومة السعودية انتقادات واسعة بتورّط مواطنيها السلفيين في دوامات عنف في العراق ولبنان والشمال الأفريقي.

بيانات رجال الدين غير المنتمين للمؤسسة الدينية الرسمية في مناسبات عدّة (الحوار الوطني، تغيير المناهج الدراسية، إجتماع علماء المسلمين في مكة المكرمة، حوار الأديان)، والتي كان فيها الإفتراق بين رجال الدين المتشدّدين المدعومين من الأمير نايف والملك توحي بأن ثمة شكلين للوهابية يتبلوران على وقع التجاذب داخل العائلة المالكة، ويمكن توصيفهما على هذا النحو: وهابية رسمية تمثل الوجه الخارجي الناعم المنفتح، وهي الصيغة التي يراد تسويقها للعالم الغربي وتحسين صورة المملكة بعد الحادي عشر من سبتمبر يدعمه بعض وسائل الإعلام الفضائي المموّلة بصورة مباشرة من السعودية، ووهابية شعبية، تمثل الوجه الحقيقي المتشدد، وهو النموذج الأصلي التاريخي النقي، الذي منه تستمد العائلة المالكة مشروعيتها الدينية والشعبية في الداخل، وهو أيضاً النموذج الذي يجري تعميمه من خلال حملات التبرع وبناء المدارس الدينية والمساجد في قارات العالم، بل والأخطر أنه المسؤول عن تشكيل حواضن تنمّي نزوعات التطرّف وتخرّج المحاربين العقائديين. وهنا نتفق مع الخلاصة التي توصّل إليها وينزر وهي تفسّر إزدواجية الخطاب الديني الرسمي بأن (همّ السعوديين هو تفادي الصورة الإعلامية السيئة أكثر من التخلي عن هيمنتهم على المؤسسات الإسلامية في أمريكا).

الهوية العالمية للإرهاب السعودي لم تبدأ في ١١/٩ بل قبل قرنين حين صيغت نظرية كونية تقوم على ثلاثة أضلاع: التكفير، العزلة، الجهاد

ينقل وينزر عن اليكسي اليكسيف ما ذكره أثناء جلسة الإستماع أمام لجنة العدل التابعة لمجلس الشيوخ في ٢٦ يونيو ٢٠٠٣م بأن (السعودية أنفقت ٨٧ بليون دولار خلال العقدين الماضيين لنشر الوهابية في العالم)، ويعتقد أن مستوى التمويل قد ارتفع في السنوات الأخيرة نظراً لارتفاع أسعار النفط. ويعقد وينزر مقارنة بين هذا المستوى من الإنفاق بما أنفقه الحزب الشيوعي السوفييتي لنشر

مفتي السعودية ينتقد فتاوى تكفير الكتاب



نقلت وسائل الإعلام السعودية في الرابع عشر من يوليو الماضي أن الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، مفتي المملكة، إتخذ موقفاً نادراً ضد زملاء متشددين إتهموا بعض الكتاب بالكفر وهي تهمة يمكن أن تستخدم لتبرير العنف ضدهم.

وقال المفتي في محاضرة له أن رجال الدين يجب أن يحذروا من الإندفاع لتكفير كتّاب واعتبارهم مرتدين عن الاسلام. وكان الشيخ عبد الرحمن البراك وهو رجل دين مستقل يحظى بمكانة كبيرة إتهم في مارس الماضي إثنين من كتاب الأعمدة الصحافية بالهرطقة وقال إنه يجب الحكم بإعدامهما ما لم يتراجعا عن مقالاتهما علناً، وأيّده ٢٠ رجل دين آخرين.

ودعا المفتي في تعليقاته التي نشرتها صحيفة (الحياة) إلى ضرورة (تثبّت وتيقّن المسلم قبل المسارعة في إطلاق التكفير على الآخرين). واشترط أن يكون الكلام (منطلقاً عن علم وبصيرة وفهم وإدراك وإلمام بالقضية ودراسة). وأضاف (لعل القائل أطلق كلماته عن جهل أو ضلال بسبب تأويل أو إنسان يثق به وتبين أن الأمر خلاف ذلك).

وقال آل الشيخ أن العلماء (لم يكفّروا أرباب المقالات مع اعتقادهم بخطئهم خصوصاً أن لبعضهم شبهات لم يستطع التخلّص منها.. كما أن بعضهم الآخر ربما قلّد أو تأول إلى غير ذلك). وأكّد على ضرورة (الاستبانة عن هؤلاء وعن نتائجهم وهل لهم شبه وعدم التسرع بالتكفير إلا من علموا أن مقالاته وبدعته الضالة نتجت من اعتقاد باطل ومن قعد سيء ومن مراد خاطيء). وجاءت تعليقات المفتي قبل أيام من (حوار بين الأديان) برعاية سعودية في أسبانيا شارك فيه مسلمون وأتباع ديانات وفلسفات أخرى.

هذا وكان مراسل وكالة رويترز في الرياض ذكر في ٩ يوليو الماضي في سياق تعليقه على رعاية السعودية لحوار الأديان بأنها تأمل في أن تعرض شكلاً أكثر ليبرالية لمنهجها من الإسلام السني في منتدى لم يسبق له مثيل يجمع بين رجال دين مسلمين ومسيحيين ويهود في أسبانيا. ويعتبر الحوار توجهاً جديداً للسعودية التي تعرضت الى انتقاد دولي بعد هجمات ١١ سبتمبر أيلول عام ٢٠٠١، ومنذاك شرع حكام السعودية في سلسلة من الاصلاحات لتحسين صورة نظام تحكم فيه العائلة المالكة السعودية في تحالف مع رجال الدين الذين أطلق لهم العنان لتطبيق الشريعة الاسلامية وفق تفسيرهم.

وقال عبد العزيز القاسم وهو رجل دين إصلاحي موال للحكومة ان المؤتمر يأتي في إطار جهود إصلاح المؤسسة الدينية السعودية في أعقاب التغييرات في الكتب المدرسية وفعل الوعاظ الأصوليين والإصلاح القضائي المزمع.

دبلوماسي مقيم في الرياض قال ان اتساع شبكة المدعوين حتى من السعودية تشير الى أن هناك معارضة كبيرة بين رجال الدين السعوديين. وأوضح انه حدث دولي وليس هناك مكان لتعديلات محلية، مضيفا ان عددا قليلا من الاعضاء في المجلس الاعلى لعلماء الدين المعين من قبل الحكومة سيحضرون. واضاف ان قائمة المدعوين حكمتها الرغبة في إيجاد سعوديين يعرفون الغرب ويتحدثون الانجليزية بدلا من الذين يشتهرون بمعرفة الدين الاسلامي. وقال دبلوماسي كبير، حسب الوكالة، أن رجال الدين المحافظين يرون أن الحوار بين الأديان ما هو إلا حملة علاقات عامة.

أيديولوجيته في العالم خلال الفترة من ١٩٢١ ـ ١٩٩١ حيث لم يتجاوز ٧ مليارات دولار.

الوهابية وتأصيل التكفير والقتل

في مقالة بحثية رصد فيها مطلق المنشداوي ما ورد في المصادر الأصلية للوهابية من مسائل في التكفير والقتل، حيث أثبت ما نفاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من إتهامات بالتكفير. وعدّد مطلق المنشداوي أمثلة كثيرة من الأمور التي نفاها الشيخ عن نفسه وأكثرها موجود في فتاواه، ومنها: إنكاره أنه يبطل كتب المذاهب الأربعة، مع أنه في موضع آخر يسميّها (عين الشرك). وكذلك إنكاره الإجتهاد والخروج عن التقليد، ونفي القول باختلاف العلماء نقمة، أو تكفير التوسّل بالصالحين والبوصيري لقوله: يا أكرم الخلق. وكذلك نفيه بأنه قال لو قدر على قبة رسول الله لهدمها، ولو قدر على الكعبة لأخذ ميزابها وجعل لها ميزاباً من خشب، وإنكاره أنه حرّم زيارة قبر النبي، وزيارة قبر الوالدين، أو تكفير من يقسم بغير الله، وإبن الفارض، وابن عربي، مع أنه في مواضع أخرى يرى بأنه أكفر من فرعون، بل يكفر من لم يكفره وطائفته، وأنكر أنه يكفّر جميع الناس إلا من تبعه.

والكثير من الأمثلة مما تبرأ منه موجود في كتبه، وجاء من يقتفي سيرته ويواصل نهجه التكفيري، فقالوا بتكفير من وافق أهل بلده في الظاهر وان كان يرى خطأهم ومحب الشيخ في الباطن، وتكفير قبائل قحطان والعجمان، وأهل حايل، وكل من خرج إلى البلدان إذا كان يرى إسلام أهلها، وتكفير الدولة العثمانية وتكفير من لا يكفرها وسكان الحجاز. ويقسّم المنشداوي مسيرة التكفير إلى قسمين: قسم إمتثل لغلو الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير، فكفروا من وافق أهل بلده كالحجاز أو اليمن أو الشام، إضافة إلى تكفير المسافر إلى خارج بلاد الدعوة، كما كفروا إبن عربي وابن فارض، ناهيك عن التصريح بأن مكة والمدينة ديار كفر، وتكفيرهم للدولة العثمانية. وتكفيرهم لقبيلة قحطان وقبيلة العجمان واعتبروا أهل حايل كفار، ناهيك عن تكفيرهم للأباضية والجهمية، والمعتزلة والخوارج والأشاعرة، وتكفير الناس بالحرمين ومصر والشام واليمن والعراق ونجران وحضرموت، وتكفير من لم يكفر أهل مكة، وتكفير من سمى الوهابية خوارج، ثم تكفير من بلغته الدعوة ولم يسلم، وتكفير من دخل في الدعوة وادعى أن آباءه ماتوا على الإسلام، وتكفير مانعي الزكاة، ومن قال لا إله إلا الله حال الحرب يقتل، وكفروا أولئك الذين يستخدمون الخدم الكفار في بيوتهم ومكاتبهم وأشغالهم، ثم أشاروا إلى أن من أكرم النصارى أو أثنى عليهم أو عاشرهم أو لم يعلن البراءة منهم فهو مرتد، وأخيراً تحريمهم السفر إلى بلاد المشركين للتجارة إلا أن يكون المسلم قوياً له منعة.

منهج التكفير الوهابي يؤسس لأيديولوجية كونية ترى في العالم كفراً مباحاً، يقتضي الإنسلاخ منه من أجل التأهّب للإنقضاض عليه في مرحلة لاحقة

قسم آخر يضعه الكاتب تحت عنوان مواقف المتأخرين من التعليم. وقال بأن ثمة تطابقاً بين المتقدّمين والمتأخرين في مسألة الغلو في التكفير. فقد اعتبر المتأخرون المعلّمين الذين تستقدمهم وزارة المعارف من الدول العربية ملحدين ، وأشاروا إلى أن هؤلاء المعلمين القادمين قد جاؤا لقلع شجرة لا إله إلا الله التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (في هذا غلو ظاهر في الشيخ محمد، فشجرة لا إله إلا الله جاء بها محمد والأنبياء من قبله)، واعتبروهم من أفراخ الإفرنج وعباد الأولياء. كما أجازوا هجر كل من سافر إلى الدول المجاورة لغرض التعليم أو التجارة أو غيرها حتى يتوب، وكان الشخص القادم من تلك البلاد يغمس بالماء بثيابه بعد صلاة الجمعة ليمتنع عن السفر لبلاد المشركين. وفي فتاواهم تحريم ونهي عن كل العلوم غير الشرعية، كالرسم والرياضة والألعاب والحقوق والطبيعة والتعليم العصري وتعليم البنات. ونصحوا كل مسلم أن لا يدخل إبنه أو إبنته في هذه المدارس، كما اعتبروا إن فتح مدارس البنات مصيبة وطامة كبرى، واعتبروا كل شخص يرضى بهذه المدارس لا غيرة عنده ولا رجولة ولا دين.


ابن سعود: الوهابية للاستخدام

كما حرموا لعب الكرة للطلاب وأنها من التشبه بأعداء الله، وذكروا أن أوجه تحريم الكرة أن فيها نوعاً من المرح وقد قال الله عز وجل (ولا تمشي في الأرض مرحاً)، كما اعتبروا التلفاز آلة بلاء وشر داعية إلى كل رذيلة ومجون، إضافة إلى مبالغتهم في تحريم الدخان حتى أوصلوه لدرجة الخمر، وأفتوا بجلد شاربه ثمانين جلدة. ومبالغتهم في تحريم التصوير بكافة أشكاله وأنواعه ما له ظل وما ليس له ظل وجعلوه أصل الشرك. واعتبروا لباس الشرطة من المحرمات، لأنه من التشبه بالكفار، فهو مشابه للباس الإفرنج المشركين، وكذلك القبعة والبنطلون. وأخيراً جاء تحريمهم للضرب بالرجل على الأرض والتحية العسكرية والتصفيق الصادر من الرجال لأنه تشبه بالنساء وهو من جملة الأمور التي تدل على التخنث وهو من الكبائر.

وكان الإسراف في استعمال التكفير قد ارتد الى الداخل، حيث شهر العلماء فتاوى التكفير في وجه خصوم الدولة وفي أحيان أخرى ضدها. فقد أصدر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فتوى يتبرأ فيها من الأمير عبد الله بن فيصل لاستعانته بالدولة العثمانية (الكافرة)، فلما تغلّب على الرياض بايعه الشيخ عبد اللطيف ورأى أنه أسلم مجدداً. ومثال آخر بارز في تبادل الإتهام بالكفر بين العلماء المؤيدين للملك عبد العزيز وبين جماعة فيصل الدويش، فقد أصدروا فتوى بتكفير الدويش والعجمان وإثبات ردتهم، وجاءت الفتوى من عدد من العلماء منهم محمد بن عبد اللطيف ومحمد بن إبراهيم وسليمان بن سحمان وصالح بن عبد العزيز، أكدوا فيها على أنه (لا شك في كفرهم وردتهم...)، وأن أعظم الأدلة على ردتهم دعواهم أنهم (لم يدخلوا تحت إمرة ابن سعود إلا مكرهين).

بؤس الإمبراطورية الإعلامية السعودية

مفاعل بلا يورانيوم!

فريد أيهم

يصف أحد العاملين في الإمبراطورية الإعلامية السعودية بأنها مفاعل نووي ضخم ولكن بدون يورانيوم، فهو غير قادر على تخصيب المواقف السعودية أو التهديد باستعمالها للأغراض السلمية وغير السلمية. لم تحقق هذه الإمبراطورية إختراقاً لافتاً في مجال صناعة رأي عام متوافق مع سياساتها، فيما يواصل تنظيم عسكري مثل حزب الله صعوده الشعبي والإعلامي بفعل إنجازاته الميدانية والسياسية التي عطّلت مفعولات الإعلام السعودي الذي بدا مثيراً للشفقة وهو يغطي عملية التبادل بين حزب الله والدولة العبرية، في محاولة للتخفيف من وطأة الإنكسارات المخيبّة للآمال التي تتعرّض لها السعودية في الثلاث شهور الأخيرة.

في السادس عشر من يوليو الماضي، كان الإعلام السعودي على موعد مع تحدٍ جدي، وضعه أمام: المهنية والعمل الإحترافي المندك في صميم صدقية ومصداقية الإعلام، والموقف السياسي والأيديولوجي، الذي تعتنقه الدولة المموّلة له. وفيما كانت الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج تتابع منذ الساعات الأولى من صباح السادس عشر من يوليو تفاصيل عملية تبادل الأسرى بين حزب الله والدولة العبرية، وترقب باهتمام بالغ منجزاً غير مسبوق يحققه بكفاءة عالية تنظيم صغير الحجم ويفرض شروطه التي تمسّك بها منذ عملية أسر الجنديين في الثاني عشر من يوليو ٢٠٠٦، كان الإعلام السعودي مشغولاً في التفتيش عن سلبيات العملية بهدف الحط من شأن المقاومة اللبنانية.

المراقب لطريقة تعاطي قناة (العربية) السعودية تمويلاً وإدارة وسياسة، يجد بوضوح أن ثمة قصداً عن سابق تصميم بتخفيض الحدث، فقد جاء خبر التبادل في المرتبة الثانية، ثم اختفى بصورة كاملة من حصيلة الأسبوع، فيما كان الطاقم الأخباري في القناة يتسقّط كل ما يحصل عليه من روايات وإن كانت مفبركة كيما يضيء عليها، أو يسهب في شرح أبعادها.

ويبلغ بؤس الإعلام السعودي في تغطية عملية التبادل بين حزب الله واسرائيل أنه صنع ما يشبه (سبق صحافي وهمي) حين استعجل بث أخبار قبل ساعات من عملية التبادل من قبيل أن رفات المناضلة دلال المغربي لن تكون واردة في عملية التبادل، ثم تراجعت عن ذلك بقليل ليكون الخبر على نحو موارب بأن رفات المغربي لن يكون في المرحلة الأولى لعملية التبادل.

صحيفة (الشرق الأوسط)، الوجه الآخر لقناة (العربية) نسجت على المنوال نفسه، فانبرت لنقل (سوابق صحافية)، ودائماً نقلاً عن مصادر إسرائيلية، من بينها ما ذكرته الصحيفة في ١٥ يوليو الماضي بأن (إسرائيل إشترطت نقل الأسرى المحررين إلى مطار بيروت وذلك للحؤول دون احتفال حزب الله على حدودها مع لبنان)، ونقلت الصحيفة عن المصادر الإسرائيلية بأنه تقرر نقل الأسرى بطائرة مروحية تابعة للجيش اللبناني من مقر الأمم المتحدة في رأس الناقورة الى مطار بيروت الدولي. واختارت الصحيفة السعودية تصريحات ذات دلالات إسرائيلية محض حين نقلت عن مسؤول

فيما كانت الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج تتابع إنجاز المقاومة في عملية التبادل كان الإعلام السعودي مشغولا في التفتيش عن ثغرات

إسرائيلي قوله: (على العالم أن يشاهد كيف يسود الحزن إسرائيل وهي تتسلم أبناءها الجنود، وكيف يحتفي حزب الله بالإرهابي سمير قنطار، الذي كان قد خطف طفلة يهودية عمرها أربع سنوات وقتلها بيديه بضرب رأسها بكعب المسدس، ويجعل من حريته انتصارا للإرهاب).

هكذا إذاً الطريقة التي عبّر فيها الإعلام السعودي عن موقفه من عملية التبادل، فيما كان الجمهور العربي يبتهج لمنجز سياسي كبير بعودة الأسرى اللبنانيين وجثامين المناضلين والشهداء من الوطن العربي. إختار الإعلام السعودي مواصلة المواجهة مع عواطف الجمهور العربي، وإرث المناضلين وكرامات



العوا: لمن تعمل الشرق الأوسط؟

العوائل، كل ذلك كيما يصفّي حسابات خاصة، الأمر الذي أثار استهجان المفكر الإسلامي المصري محمد سليم العوا حين تساءل في تعليق على مقالات وأخبار صحيفة (الشرق الأوسط) حول صفقة التبادل بين حزب الله والدولة العبرية، وفبركة الصحيفة لأرقام غير صحيحة : لمن تعمل هذه الصحيفة؟

ما غاب عن صانعي السياسة الإعلامية السعودية في هذه المرحلة بالتحديد أن المناخ العاطفي في العالم العربي لم يعد يحتمل خطاباً سعودياً ينضح بالكراهية لكل ما يمسّ كرامة العرب وممانعتهم، ويبلغ مقت الغالبية العظمى من الجمهور العربي والإسلامي للسعودية أن صاروا يضعوها في خانة واحدة جنباً إلى جنب الدولة العبرية. وإن الحملة الإعلامية التي تشنّها إسرائيل ضد حزب الله ومشروع المقاومة بصورة عامة، تندرج في سياق تنسيق إسرائيلي سعودي، وهذا ما تكشف عنه وسائل الإعلام السعودية بصورة واضحة.

المثير للغرابة أن نبأ الحملة الإعلامية الدولية التي أطلقتها الدولة العبرية في السابع عشر من يوليو الماضي ضد حزب الله وإظهاره بوصفه منظمة (إرهابية) أخذ بعداً متميّزاً في الإعلام السعودي، ويلتقي أيضاً مع حملة إعلامية سعودية ضد حزب الله منذ حرب يوليو ٢٠٠٦، ولم تتوقف حتى الآن، حين تقرر إحياء الخطاب الطائفي بالتركيز على الهوية المذهبية للمقاومة اللبنانية، والتي يتكرر استعمالها في الإعلام السعودي من قبيل عبارات (حزب الله الشيعي) و(الحركة الشيعية اللبنانية)، كل ذلك من أجل فصل الجمهور العربي والإسلامي العام عن المقاومة اللبنانية، بل والتحريض عليها من خلال تضخيم بعض الأخطاء أو فبركتها، وهي ذات السياسة التي اعتمدتها إسرائيل في الحملة ضد حزب الله عشية عملية التبادل، حين قامت ببث فيديو على موقع (يوتيوب) تشرح فيه الخارجية الإسرائيلية ملابسات صفقة التبادل، وتستنكر إطلاق سمير القنطار وتطلق التهديدات ضد حزب الله، وتحرّض عليه من خلال رسائل صوتية إلى آلاف الهواتف النقالة في جنوب لبنان وبيروت.

وكما (العربية) و(الشرق الأوسط)، فإن الإعلام الإسرائيلي يشدّد على الدعم الإيراني لحزب الله، وعلى الهوية المذهبية له، ولا ينسى أن يدمغ تصريحات المسؤولين بالدمغة الإرهابية، كيما تكون صالحة للإستعمال الدعائي الغربي. لا يتوقف الإعلام السعودي عند حد نقل الخبر، بل يمارس فعلاً دعائياً إيجابياً لصالح الدولة العبرية حين يسهب في نقل خبر منقول عن مصدر إسرائيلي ما نصه: (وفرت الأجهزة الإعلامية التابعة لرئيس الوزراء أيهود أولمرت ووزارة الخارجية الاسرائيلية والوكالة اليهودية ـ منظمة شبه حكومية للهجرة الى إسرائيل ـ لوسائل الإعلام العالمية أفلاما ووثائق تشدد على قيم الدولة العبرية الأخلاقية).

وحتى لا يقال عن هذا الإعلام بأنه فاقد للمصداقية والمهنية، فإنه يورد أخباراً مقتضبة عن الاحتفالات في لبنان ويختصرها الإعلام السعودي في (الضاحية الجنوبية) بدلالات غير مغفولة، وليعقب على ذلك بالقول: (حيث ألقى الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله كلمة). أما الجانب الإسرائيلي فتفرد له صحيفة (الشرق الأوسط) مساحة لافتة مخصصّة لتصريحات أختيرت بعناية (وفي تصريحات أدلى بها في حيفا أمام دفعة من ضباط البحرية، ونقلتها وسائل الإعلام، قال وزير الدفاع الاسرائيلي إيهود باراك إن: حزب الله عدو شرس وصلف وحقير يعتبر الحياة البشرية مجرد وسيلة للتبادل).

ولا يخفى أن تأييد موقف سياسي ما يستدعي تسليط الضوء عليه، والجحود بموقف آخر يتطلب تهميشه وتخفيضه، وهو ما يقوم به الإعلام السعودي بأمانة عالية، حين يسدل ستارا من الغموض على منجزات المقاومة، فيما تنقل بدقة مشفوعة بطعم الدعاية الإيجابية والدعم المبطّن تصريحات المسؤولين الإسرائيليين.

رغم ذلك، فإن ردود الفعل الشعبية على الحملات الإسرائيلية ـ السعودية ضد حزب الله تأتي على الدوام خاسرة منكسرة.

في تعليقات القراء على خبر الحملة الإعلامية الإسرائيلية على حزب الله، والذي نشره موقع (العربية) على شبكة الإنترنت في السابع عشر من يوليو الماضي، كانت النتيجة مخيّبة لأصحاب الحملة، حيّث عبّرت الغالبية العظمى من قرّاء الخبر عن تأييدهم للمقاومة اللبنانية، وإدانة للإرهاب الإسرائيلي.

مقتطفات من التعليقات تكشف عن تمسّك الجمهور بخيار المقاومة:

سخاء الملك في الخارج بخل في الداخل

منذ بدأت الطفرة النفطية الثانية، والملك عبد الله يفيض سخاءً على حلفاء له في الخارج، حتى بلغ حداً محرّضاً على الجشع في شكله الإجرامي. من النتف المتداولة عن سخاء مملكة النفط: في العراق، يتداول بعض أفراد النخبة السياسية الحاكمة بأن الملك عبد الله عرض على رئيس وزراء العراق الأسبق إياد علاوي شيكاً مفتوحاً قدّر بأكثر من عشرة مليارات دولار في حال نجح في إسقاط حكومة نوري المالكي، وفي لبنان تداول المقرّبون من فريق ١٤ آذار أنباء عن إنفاق سعودي بلغ ١٢ مليار دولار خلال العامين الماضيين من أجل بناء تحالف سياسي (وأمني وعسكري) لمواجهة حزب الله وإيران في لبنان، وقال أحدهم بأن السعودية على استعداد لإنفاق كل ما تملك للحيولة دون حصول المعارضة على الثلث الضامن.

الملك عبد الله أنفق كثيراً على حلفائه لشراء مواقفهم، وضد خصومه من أجل تخريب تحالفات ضدهم أو حتى إطاحتهم. فقد تعهد الملك في زيارة له العام الماضي للأردن ببناء ٧٠ الف وحدة سكنية. (ألم يكن هناك من المواطنين من هو أولى بهذه الوحدات السكنيّة، في بلد يعيش نحو ٧٠ بالمئة من سكّانه في بيوت مستأجرة!). وطال السخاء السعودي دولاً عربية وغربية، ولا ضير في دعم الأشقاء من عرب ومسلمين، ولكن (الأقربون أولى بالمعروف)، ومقتضى مسؤولية الراعي عن رعيته. ولكن المعيبة تكبر حين تعدمنا أنباء عن مساعدات مالية قدّمت للدولة العبرية للتعويض عن أضرار حرب تموز ٢٠٠٦.

في ١٧ يوليو الماضي، نقلت رويترز عن صحيفة (لاريبوبليكا) الإيطالية تصريحات للملك عبد الله تحدّث فيها عن نيّة المملكة مساعدة الدول الأشد فقراً لتخفيف أزمة الغذاء. ونقلت الصحيفة بأن السعودية تبرّعت بمبلغ نصف مليار دولار لبرنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة، وعلّقت الوكالة بأن ذلك (يمثل أكبر تبرع نقدي منفرد في تاريخ البرنامج).

ـ لا يلقى بالحجارة إلا الشجرة المثمرة.

ـ هل يمكن لإسرائيل أن تقول لنا كم طفلاً عربياً قتلت؟

ـ وقتلهم اطفالنا هو ليس بجريمة ومحمد الدرة خير شاهد.. أين هو المجرم الحقير؟ واين هو المناضل الشريف؟

ـ حزب الله وباختصار أعاد هيبة الاسلام والعرب وقلب نظرة الجبناء أن دولة الصهاينة لا تهزم.

ـ أعلن مصدر رسمي أن إسرائيل أطلقت الخميس ١٧-٧-٢٠٠٨ حملة إعلامية دولية للتشديد على ما أسمته الطابع (الإرهابي) لحزب الله اللبناني، غداة عملية تبادل الأسرى والرفات مع الحركة الشيعية اللبنانية.. والعربية هي أول القنوات المتبرعة لإحياء هذه الحملة.. باركوا لها.

ـ شكرا للمقاومة وشكرا للسيد حسن نصر الله، لقد أثبت أن وعده باسترجاع سمير القنطار لم يكن مجرد خطابات، وأثبت أن المقاومة هي الخيار الوحيد الذي يحرر الأراضي العربية، فشكراً يا سيّد المقاومة والى الامام.

ـ الأغبى من يغمض عينه عن الحقيقة ولا يرى إلا بمنظار متطرف أخرق.

ـ الصهاينة يستحقون أكثر من ذلك، الله لا يردهم، اذا سمير القنطار قاتل فماذا يكون المجرم شارون وأولمرت وغيرهما؟ أنا أجزم بأن إسرائيل كيان إجرامي يجب إبادته والإنتهاء منه.. إسرائيل هي



القنطار: إرهابي في الإعلام السعودي والصهيوني

كالورم يجب استئصاله لكي يعيش الإنسان.

ـ وينكم يا عرب ولكم شوفو شو عمل حزب الله، خليكم نايمين وآخرتكم رح تصحوا وتلاقو حالكم متل فلسطين تحت الإحتلال، وبتشوفو كيف اسرائيل رح تاكلكم متل ما اكلت غيركم بس حزب الله تغدى فيها قبل ما يتعشوا فيه.. يحيا حزب الله وتموت اسرائيل. والله رح تنهدو يا اسرائيل ما اتعبو حالكم انتو فاشلين ورح تفشلو كمان وكمان.

ـ نعم واضح جداً جداً أن إسرائيل تريد ألاّ تدع الفرصة تضيع هباءً فقد سخّرت العشرات للكتابة هنا بأسماء عربية والأدلة واضحة، ليس من عربي يقول كيف قتل فتاة عمرها ٣ سنوات لانه العربي يعلم أن اسرائيل قتلت مئات الآلاف مثل الدرة وغيره، ولا ينسى العرب ما فعله اليهود فى صبرا وشاتيلا وقانا وغيرها.

ـ دائما السيد يعد ويفي بوعده. سر يا سيدنا ونحن من ورائك واثقين بك إلى نهاية الدرب (بزوال إسرائيل) إن شاء الله تعالى. سر بالقافلة ودع الكلاب تنبح، فما يضر السحاب نباح الكلاب.

- أنت الوحيد يا سيد حسن الذي أبكيت اسرائيل ومناصري اسرائيل، ومع الأسف في الأمس شاهدنا الحزن واضح على قناة (العربية) والتي اكتشف أنها صهيونية، بحيث حتى عندما ذكروا خبر إطلاق سراح الأسرى ذكروه بحزن، وليس بفخر وفرح وحسبنا الله ونعم الوكيل يا قناة (العربية).

- لنفترض أن القنطار قتل طفلة إسرائيلية، كم مجزرة أطفال قامت بها وآخر مجازرها في غزة ولبنان وخصوصا في قانا؟

- إنتصر حزب الله بقيادة السيد حسن نصر الله، ومن

الجماهير العربية لم تعد تحتمل خطاباً سعودياً ينضح بالكراهية لكل ما يمسّ كرامة العرب، ويعتبرونه خطاباً مشبوهاً

نصر إلى نصر إن شاء الله حتى تحرير كامل الاراضي العربية المحتلة.

- يا أيها العالم أنظر بعينيك، يا أيها العالم إسمع بأذنيك، يا أيها العالم لا ترضى بالظلم فالحقيقة أمام ناظريك. أنا فتحت الرابط على اليوتيوب فلم أجد أكذب وأحقر من هذا الشعب المغتصب المجرم الجبان الكاذب. إنهم يزوّرون الحقائق ويتلاعبون بالتاريخ، وكل ذلك ببساطة لأننا جبناء ناقصو عقل. أين شبابنا الذين يفوقونهم ذكاء ومعرفة من نشر جرائمهم وعمل تقارير مفصّلة عن مذابحهم بالصوت والصورة يا أحرار العرب.. أيها العرب أرجوكم دعونا نواجههم إعلاميا من نفس الموقع الذي يستخدمه ملايين البشر لمعرفة الحقائق من نفس موقع يوتيوب الذي نشروا عليه أكاذيبهم. إذا كان سمير قنطار قتل طفلة واحدة، فهم قتلوا آلاف الأطفال الفلسطينيين وبإمكانكم أن تجمعوا الصور وتردّوا عليهم، ومن السهل الوصول اليها بينما هم لايمتلكون أي صورة عما يدّعونه.. إصحوا يا بشر أفيقوا فالمعركة لا تتم بالقتل والذبح، إنها الآن معركة إعلامية يفوز بها من كان أذكى ونحن لا ينقصنا الذكاء، لكن ينقصنا فقط أن نخرج من عقلية الجبناء.

- بتحكوا عن أطفالكم، ليش أطفالنا شو؟ طفلة عندكن مقابل مئات الأطفال عنّا، تناسيتو عند الحرب لمّا جبتوا أطفال اسرائيل ليكتبوا على الصواريخ (إلى اطفال لبنان). روحوا إنتو المجرمين، إنتو المجرمين، ان شاء الله منضلنا منتصرين عليكن.. ان شاء الله ولا اسرائيلي بضلّ عايش أرفتونا... الله يقويك يا سيد المقاومة وضلّك رافعلنا راسنا.

- كم من طفل عربي بريء قتلوا بطرق بربرية على يد ماما اسرائيل؟

- مبروك لكل عربي شريف هذا الا نجاز والله يحمي اليد..

- اذا كان حزب الله الذي ينطلق من مبدأ المقاومة إرهابياً كما ادّعت جهات إسرائيلية، فماذا نقول عن اسرائيل التي تقوم بقتل المئات من الفلسطينيين، وتحاصر ما يزيد عن المليون ونصف فلسطيني بغزة.

- أنا متحيّر من اليهود، يقيمون حفله إعلاميه من أجل تشويه سمير القنطار والذى قتل طفله فى السبعينات، بينما هم لم تجف أيديهم من دماء أطفال فلسطين ولبنان. تذكروا مدرسه بحر البقر الإبتدائيه فى مصر. يجب أن تحاكموا جميعاً وأن تقضوا عمراً فوق عمركم خلف القضبان يا قتلة. أأنتم من تعلمون العرب القتل وأنتم من تدفعونهم للإنتقام منكم نتيجة ظلمكم. نحن مؤمنون أن مصيركم الى زوال حتى ولو طال الزمن.

- لا يسعني إلا أن أقول حماك الله يا نصر العرب يا نصر الله، سر ونحن على دربك يا سماحة السيد،



ابتهاج في بيروت وحزن في اسرائيل و... الرياض!

وألف ألف مبروك مرة أخرى على انتصارك على الخونه قبل إسرائيل.

- إن انتصار حزب الله وإسقاط الأسطورة التي لا تقهر هو انتصار الى الأمة الإسلامية كلها وفخر لنا جميعاً وأنستنا أيام هزائم الأيام الستة التي احتلت فيها إسرائيل أرضنا وجاء يوم الإنتصار، يوم تحرير الجنوب بقوة السلاح وتحرير الأسرى، ويجب علينا أيها المسلمون أن نتّحد ونسحق جرثومة الفساد إسرائيل من أرضنا.

- شارون - موفاز - بيجن - بن اليعازر.. كلها اسماء قتلت من الفلسطينيين الآلاف رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً بلا استثناء.

(إم بي سي) الفارسية.. أميركية

تحت عنوان: (إم بي سي الفارسية.. الرسالة والمرسل إليه؟!) كتب عريب الرنتاوي، مدير مركز القدس للدراسات السياسية في عمان، مقالاً في السابع عشر من يوليو الماضي جاء فيه: أن تقوم قناة تلفزيونية عربية بالبث باللغة الفارسية، فهذا أمر مهم ومفهوم ومطلوب، لكن شريطة أن تكون المادة المبثوثة عربية، تعكس ثقافتنا وتنقل رسالتنا - إن وجدت - إلى شعب صديق أو شقيق أو جار، أما أن تكون المادة المبثوثة أمريكية من الألف إلى الياء، فإن المرء يتساءل عن السر الكامن وراء هذه الوجهة، والأسباب القابعة وراء هذا التوجه، فهل باتت وظيفتنا كعرب أن نروج للثقافة الأمريكية وأن نعمل على ترويجها، وبكل اللغات المتاحة، هل أصبحت وظيفتنا كعرب أن نجعل من قنواتنا الفضائية نسخاً ممسوخة عن (إذاعة أوروبا الحرة) التي اشتهرت ببرامجها المعادية للسوفييت والشيوعية زمن الحرب الباردة والصراع ضد (الخطر الشيوعي)، وهل ستصبح وظيفة MBC الفارسية، شبيهة بوظائف أوروبا الحرة، ولكن ضد (الخطر الشيعي) هذه المرة؟!.

لست أحسب أن دوافع ربحية وتجارية تقف وراء القناة الجديدة (الفارسية) لمحطة ّح، ولا أنظر لخطوة كهذه إلا بوصفها الوجه الآخر لصفقات التسلح السعودي خ الروسي، والتي يتضح أن لها وظائف سياسية تتعلق بعزل إيران وتطويقها، وليس بزيادة القدرات الدفاعية للمملكة، وفي ظني أن كلا التطورين لا يمكن فهمه وقراءته من دون تتبع بعض ما يقال ويكتب وينشر في بعض وسائل الإعلام السعودية، المهاجرة منها على وجه الخصوص، وفيما تفيض به بعض الأقلام العربية (من حيث الجنسية والإقامة) والسعودية من حيث الولاء والتمويل والرواتب والأعطيات.

والحقيقة أنه لم يعد خافيا على أحد، أن الصراع السعودي خ الإيراني بلغ حداً مكشوفاً وصريحاً، ويتخذ من بعض الأزمات، ساحات لتفجره وتفاقمه، ولعل ما جرى ويجري في لبنان هو خير مثال على المستوى الذي بلغه التدهور في العلاقات الثنائية بين البلدين، إذ في الوقت الذي ترفض فيه السعودية إستقبال نبيه بري غداة اتفاق الدوحة، نراها تفتح ذارعيها لأحمد الأسعد، نجل كامل الأسعد، أحد أبرز ممثلي الإقطاع الشيعي الجنوبي الذين أطاحت بنفوذه وإقطاعياته، حركة أمل والمحرومين وحزب الله، وفي خطوة لا تخفى دلالاتها على أحد.

ومثلما هو الحال في لبنان، أصبح العراق وفلسطين كذلك، ساحتان مفتوحتان لمواجهات سياسية من هذا النوع، لم تقلل من شأنها الزيارات المتبادلة بين البلدين، ولا محاولاتهما (عقلنة) الصراع المحتدم الدائر بينهما واحتواء الفلتان المذهبي الذي يكاد يخرج عن السيطرة في غير بلد وعلى أكثر من صعيد.

والراهن أن السعودية تخرج يوماً إثر آخر عن (حذرها) التقليدي، وتدخل المواجهة مع إيران، من أوسع أبوابها، وبالإسم الصريح، وبكل الوسائل والأسلحة، من المال إلى النفط والسلاح مروراً بالإعلام الذي تسيطر المملكة على أكثر من ثمانين بالمائة من وسائله وأدواته الناطقة بالعربية.

الإعلام السعودي بأقلام صريحة

(١)

إعلام طائفي وماجن

في مقالة بعنوان (حقيقة الإعلام العربي والأموال السعودية!) كتب رياض الحسيني، كاتب عراقي وناشط سياسي مستقل: المتابع الذكي لا تفوته الحملة التي قادتها السعودية منذ فترة ليست بالقصيرة عبر جامعة الدول العربية واللجنة الدائمة للإعلام العربي التي تضم وكلاء وزارات الإعلام في الدول العربية. فمن خلال الضغط السعودي على هاتين القناتين. ولأجل إحكام القبضة السعودية على الإعلام العربي وتحديداً المخالف بالرؤية والهوية مارست السعودية ضغوطا ضخمة لإقرار ماسمي لاحقا بوثيقة تنظيم البث والإستقبال الفضائي والإذاعي والتلفزيوني في المنطقة العربية. تلك الوثيقة التي أثنى عليها وزير الثقافة والإعلام السعودي إياد أمين مدني بقوله (إنها مرحلة مهمة في تاريخ الإعلام العربي)، ومعترفا بحجم الضغوط التي مارستها السعودية على جامعة الدول العربية واللجنة الدائمة للإعلام. بطبيعة الحال تلك الوثيقة لم تترك جمالاً أدبياً ولا حسناً من بديع الكلمات إلا وحوته حالها كحال كل الإتفاقيات العربية الموقعة بدءً من العمل المشترك والدفاع المشترك وليس انتهاءً بالمصير المشترك! بيد أن الوزير برّر الضغوط السعودية لإقرار هذه الوثيقة بعبارات رنّانة وجمل طنّانة لاترقى إلى الترجمة الفعلية على أرض الواقع، ففي الوقت الذي تدعو في تلك الوثيقة إلى نبذ الطائفية والإمتناع عن بث كل شكل من أشكال التحريض على العنف والإرهاب نجد كل وسائل الإعلام السعودية تبث وبالمانشيت العريض (هجوم على السنّة) في تغطيتها للأحداث الأخيرة التي جرت في شمال لبنان! وفي الوقت الذي تدعو فيه الوثيقة إلى احترام المذاهب والرموز الدينية والالتزام بالاخلاق الدينية والاخلاقية فلاتجد القنوات الاعلامية السعودية حرجا من التشنيع على رموز الطائفة الشيعية تحديداً وبلا استثناء تحت حجج لامبرر لها ولامسوغ! المثير للسخرية أيضاً أن هذه الوثيقة تدعو الى الإمتناع عن بث المشاهد والحوارات الإباحية وترى وجوب حماية الأطفال والناشئة من كل مايمكن أن يمس بنموهم البدني والذهني والأخلاقي كما جاء في نص الوثيقة ولكن لمن يتابع برامج الام بي سي والمستقبل فلن يجد إلا برامج تحت حجج الإبداع من قبيل سوبر ستار وشاكلته! تمويل الاعلام السعودي هذا لايخرج عن خزينة الدولة في أغلبه بينما يتولى بعض الأمراء هذه المهمة، لذلك فإن مهمة الإعلام هذا تتمحور حول طائفية أي موقف لايتماشى مع نظرة الحاكم في السعودية أو يقف بالضد منه، فبعد تحييد فضائية (الجزيرة) القطرية حول تعاطيها في الشأن السعودي، فان الترسانة الإعلامية السعودية إنفردت بالعالم العربي بلا منازع! فبعد اتهام الشيعة بالتبعية لغير العرب وتحديدا إيران.. فان إهل السنة والجماعة لم يسلموا من هذا الإعلام الموجّه فكل من لايدخل تحت العباءة السعودية فهو مرتبط بـ (ولاية الفقيه) فوقف هذا الاعلام مع فتح ضد حماس في حربها مع الإحتلال وأدواته بل عايروا حماس لتلقيها مساعدات إيرانية الأمر الذي حدا بوزير الداخلية الفلسطيني سعيد صيام أن يرد بالقول (هذا لا يعيبنا وأفضل من الذين يأخذون مساعدات من أميركا والإحتلال، ومن يخفه هذا الامر فليتفضّل ويقدم مساعدات للشعب الفلسطيني). كذلك وقف الاعلام السعودي مع الحزب الوطني المصري الحاكم ضد الاخوان المسلمين بل كان سبباً في تأزيم الأمور حتى بين الأقباط والمسلمين من خلال تضخيم الأحداث. كذلك الحال في العراق، فابتدعوا تشكيل سمي وقتها (حماس العراق) ومؤخراً بالأموال السعودية أيضا تم تشكيل والترويج لما يسمى (جبهة إنقاذ العراق) مستفيدين من تواجد بعض قادة الجيش العراقي السابق في دمشق من أمثال الفريق صباح العجيلي معاون رئيس أركان الجيش والفريق نوري داود المشعل قائد الفيلق الثالث. جاء ذلك بالتنسيق مع بعض الوجوه السلفية من أمثال عبد الناصر الجنابي عضو مجلس النواب..

أما تبني الإعلام السعودي للمخطط الأمريكي فليس هناك مايدعو للشك بأن هذا الإعلام أصبح رهينة واليد المطيعة لتنفيذ ماتريده الإدارة الأمريكية في المنطقة العربية بغض النظر عن كونها ديمقراطية كانت أو جمهورية، وما تجربة الخلاف الإيراني الأمريكي حول التجربة النووية الإيرانية إلا واحداً من أعداد لاحصر لها من المخططات. فقد أخذ الإعلام السعودي على عاتقه في هذا المفصل تحديداً زمام المبادرة على تأزيم العلاقات العربية الإيرانية وإفشال أي تقارب بين العرب والإيرانيين..

أما المرأة فحدّث ولاحرج، ففي الإعلام المرئي السعودي الخارجي صارت المرأة سلعة تجارية بكل ما للكلمة من معنى.. في وقت لازالت تُمنع فيه المرأة السعودية في الداخل من قيادة السيارة.

أخيراً تحاول السعودية جاهدة وبكل قواها السيطرة على الإعلام العربي من خلال البوابة اللبنانية، مستغلة بذلك الخلاف اللبناني - السوري على بعض القضايا، لذلك نرى حجم الضغوطات والتدخلات السعودية في الشأن اللبناني على غير العادة.

وفي الوقت الذي يتوجب أن تستغل فيه هذه الأموال لتطوير الإنسان السعودي وتقوية الإقتصاد خصوصاً في هذه الظروف التي تشهد فيها السوق النفطية تقدّماً كبيراً في حجم العائدات فلا نرى إلا مزيداً من التدهور والخضوع والخنوع بل ومزيداً من الأبواب المشرعة أمام الصهاينة ليدخلوا أرض العرب من البوابة السعودية ذات القوائم اللبنانية..

(٢)

(العربية) الأميركية ـ الإسرائيلية

كتب البروفسور أسعد أبو خليل، أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا، مقالة في صحيفة (الأخبار) اللبنانية في ١٢ يوليو الماضي مقالاً بعنوان (الدعاية الأميركيّة: محطّة «العربيّة» نموذجاً) إنطلق فيه من برنامج (الخاص) الذي أعدّته جيزيل خوري في برنامجها (باللبناني) عن المناضلة دلال المغربي، وعلق أبو خليل (أظهرت جيزيل في بداية البرنامج صورة لإيهود باراك (قاتل القادة الفلسطينيّين والشاعر كمال ناصر في أسرّتهم في نيسان ١٩٧٣ بمساعدة من لبنانيّين، محبّين مبكرين للحياة) مع جثّة دلال المغربي، وقالت إنه كان «يعاين الجثة». وتساءل أبو خليل (هل حوّلت جيزيل خوري إيهود باراك إلى طبيب شرعي؟ لم تودّ أن تذكر أن باراك مثّل بالجثة ونزع عن دلال المغربي قميصها العسكري وتركها مكشوفة (بهدف إذلال من لا يمكن إذلالها حيّة أو ميتة)، عرضةً لعدسات المصوّرين الإسرائيليّين في دولة لم تعترف يوماً باتفاق جنيف. وقالت خوري إن والدة دلال لم تعنِ لها قضيّة فلسطين شيئاً لأنّها... لبنانيّة، وحرصت كاميرا «العربيّة» على إظهار صورة لرفيق الحريري أثناء المقابلة مع أم دلال. وزادت خوري إهانات أخرى، محمّلةً دلال المغربي ورفاقها مسؤوليّة اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان في ١٩٧٨).

هذا نموذج فقط، حسب أبو خليل، لنوع الدعاية التي تطغى على شاشات آل الحريري وآل سعود، وعلى محطة «العربيّة» بصورة خاصة. هذا ما فعلوه بدلال المغربي في ذكراها.

يفتح هذا النموذج أفق جدال واسع على السياسة الإعلامية السعودية، ومحاولات صنع رأي عام مستكين. وتحت عنوان (تطويع الرأي العام) (مساحة التعبير تضيق باستمرار، وإصلاح ذات البين المشؤوم بين آل سعود وآل ثاني ضيّق ما بقي من المساحة.. التناغم بين الدعاية الأميركية (الفظّة) والدعاية السعودية ـ الحريرية ظاهر للعيان).

لم تكن المملكة لتطيق أن تعاني تصدّعاً في علاقاتها مع الدولة ـ الإمبراطوريّة الراعية لها منذ تقاعد الإمبراطورية البريطانيّة (يجب أن يُترجم كتاب بوب فتاليس الجديد عن «مملكة أميركا»، وهو يتضمّن شرحاً وافياً لتغلغل أميركا المبكر في نظام المملكة السعوديّة واقتصادها). والملك فهد عرف مبكّراً (من زمن حكم الملك خالد الذي لم ينصرف إلى شؤون الحكم لانشغاله بالتُّقى والورع، مما ساعد في صعود السديريّين السبعة) كيف يدير علاقاته، الذليلة طبعاً، مع أميركا. عرف أن ما فعله شقيقه فيصل (إنشاء أحلاف إسلامية رجعيّة حول العالم لمحاربة الشيوعية وعبد الناصر) لم يكن كافياً. سخّر فهد .. كل إمكانات المملكة لدعم أعمال الإمبراطورية الأميركية السريّة (والقذرة كما يسمونها هنا) وتمويلها حول العالم.

يرصد أبو خليل مشتركات أميركية سعودية في الملف العربي، وذكر بأن المملكة التي تزعم الحياد وتزعم «المسافة المتساوية» بين أطراف النزاع، لم تترك نظاماً يسارياً أو اشتراكياً حول العالم لم تتآمر عليه، ولم تترك نظاماً يمينيّاً رجعياً لم تمدّه بالدعم. إهتزت العلاقة بين أميركا والسعودية بعد ١١ أيلول، وسارعت المملكة إلى إصلاح ما تضرّر. وضعت خطة محكمة، وأدركت أن المطلوب منها أكثر من دعم سرّي خجول للمشروع الإسرائيلي. كان على الملك عبد الله إثبات ولائه للأميركيّين، وخصوصاً أنه لم يكن محلّ ثقة عند الأميركيّين الذين فضّلوا الملك فهد وأشقاءه. عاني عبد الله من سمعة قومية عربيّة (كلاميّة ليس إلا)، كما أن كتاب بوب وودورد عن حرب الخليج الأولى روى تفاصيل زيارة وزير الدفاع الأميركي للمملكة آنذاك، ديك تشيني، وكيف همس الملك عبد الله في أذن الملك فهد آنذاك أن القوات الأميركية لن تترك أرض الحجاز إذا وطئتها. لم يعلم الملك أن عضواً في الوفد الأميركي كان يلمّ بالعربية، وفق رواية وودورد. سارع عبد الله، ملكاً، إلى تبنّي مبادرة توماس فريدمان كما هي، ومن دون الإشارة إلى حق العودة (ويضيف مروان المعشر في كتابه الذي صدر أخيراً عن «الاعتدال العربي» ـ أو صراط عبد الستار أبو ريشا ـ الذي تروّج له كل وسائل الإعلام الموالي لإسرائيل في أميركا، أنه تدخّل لتعديل الصيغة المتعلّقة بحق العودة حتى يتسنّى لإسرائيل حق الموافقة والرفض. هنا نعلم لماذا اختاره بول وولفويتز عوناً دعائيّاً له في البنك الدولي). هرع الملك السعودي مذعوراً لإرضاء أميركا، وساعده في ذلك الأمير بندر الذي رفض أن يتخلّى عن ملف العلاقات الأميركية ـ السعودية حتى بعد تعيين صهره، الأمير تركي (الصديق والراعي «السابق» لأسامة بن لادن قبل أن يكتشف هو الآخر حبّ الحياة بعد ١١ أيلول) سفيراً للمملكة في واشنطن. وأدّى تدخل بندر السافر والخفي في واشنطن إلى استقالة مفاجئة لتركي. وتطلّبت عودة العلاقات الأميركية ـ السعودية إلى سابق عهدها من الصفاء والتآمر المشترك إلى أداء السعودية خدمات جلّى في مجال الدعاية المرافقة للحروب الأميركية، ما يُسمى «العمليات النفسية» في مصطلحات وزارة الدفاع الأميركية. ولا ندري الظروف التي أحاطت بولادة محطة «العربيّة»: لم يُعلن عن المالك إلا بعد مرور بضع سنوات من الانطلاق. نعلم اليوم أن صهر الملك فهد هو المالك، وقد دعا أمين الجميل إلى حفل عيد التأسيس في السنة الماضية، وأشاد الأخير بالمحطة، منوهاً بخدماتها «للقضية العربية». أي إن محطة «العربيّة» تخدم القضيّة العربية، وفق رؤية حزب الياس ربابي، الذي كان يتلقى أموال الدعم الإسرائيلي منذ الخمسينيات.

ويفرد أبو خليل مساحة كبيرة وتحليلية لقناة «العربيّة» ودورها في دعم التوجّهات السياسية الجديدة المعتدلة، وذكر بأن «العربيّة» واضحة في توجّهاتها وسافرة في تحريضها ومجاهرة في ولائها ومباشرة في دعايتها. لا تحاول الإبهام أو التستّر، وإن استسهلت استعمال كلمة موضوعية في أحاديث مع مسؤولي المحطة بالإنكليزية. لا يستطيعون إمرار عبارة الموضوعية باللغة العربية مع مشاهدين ومشاهدات يألفونهم. ففي الموضوع العراقي، تضيع المحطة في التغطية بين «المواد الإعلانية» المروّجة للاحتلال.. حتى باتت التقارير الصحافيّة من مراسليها في العراق لا تختلف البتّة عن المواد الإعلانية ذات الأسلوب الدعائي المألوف في إعلام كوريا الشمالية. والمواد الإعلانيّة مجهولة المصدر وإن أعلنت عن أسماء وهميّة من نوع «مواطنون عراقيون» أو «مزارعون» أو غيرهم من الأسماء التي توحي بأيادٍ خفيّة. وقد ذكر لي الإعلامي الأميركي الذي يدير شبكة «لينك» أن وليد معلوف (وهو على يمين المحافظين الجدد في الإدارة الأميركية وإن احتلّ موقعاً هامشيّاً، وهو قد حلّ ضيفاً مكرّماً على رئيس لبنان الجديد قبل أسابيع فقط في



قصر بعبدا، لكن لبنان مضياف لمتعصّبي الغرب الصهيونيّين) هو الذي يسوّق لتلك المواد في وسائل الإعلام العربي. أما مراسلو المحطة في العراق فهم يذكرونك بصحافيّي صدام: في النبرة الخطابية وفي التقارير التي تتضمّن إدانات للمخربين والإرهابيّين. (وتعريف الإرهاب والتخريب في الإعلام العربي يخضع لمعايير وزارة الخارجية الإسرائيليّة. هي تقرّر، وهم يكرّرون).

لعبت المحطة دوراً بارز الأهمية في رفع الحرم عن تسعير الخطاب السنّي ـ الشيعي. وهذا التسعير لم يتوقف من لدن المملكة الوهابية على امتداد العقود (يحاول الكاتب الليبرالي الزعم، شاكر النابلسي ـ مؤلف كتاب بريء في موهبة خالد الفيصل الشعرية ـ أن يعيد كتابة تاريخ آل سعود عبر تصويرهم كأعداء للوهابية، ومتصدّقين (فقط) على الإخوان المسلمين)، وقد كرّست له الكاتب الباكستاني إحسان ظهير الذي لم يتوقف لسنوات عن إنتاج غزير لكراهية مذهبية حادّة .. وخطة تسعير الصراع كانت أميركية الدوافع والإخراج والمقاصد: أرادت الولايات المتحدة أن تحدّ من الطموحات الإيرانيّة في المنطقة، كما أنها أرادت أن تدفع بطرفي الصراع المذهبي في العراق إلى الخوف المتبادل، مما يُسبغ شرعيّة على الاحتلال ويطيل أمده. والخطة، بالإضافة إلى تلبيتها مطلباً أميركياً ـ والطلبات الأميركية لا تُردّ لدى سلالات النفط ـ توخّت توسيع شعبية الحكم الجائر في المنطقة العربية ومشروعيته. وضع الملك الأردني اللبنة الأولى، ثم تولى الملك السعودي متابعة المهمّة بنشاط. محطة «العربيّة»، ومحطات أخرى مثل وسائل إعلام الحريري، إضطلعت بالمهمة متحمسة، وإن أظهر استطلاع للرأي في العالم العربي أجراه فريق في جامعة مريلاند ونُشر أخيراً، أن تسعير الخطاب المذهبي لم يؤدّ إلى مبتغاه، باستثناء محيط سنّة لبنان. أما في أوساط سنّة المنطقة، فشعبية حزب الله لا تزال تفوق شعبيّة ملوك شخبوط.

وفي إضاءة لافتة على اليد العاملة اللبنانية في قناة «العربيّة»، كتب ابو خليل (إستعانت محطة «العربيّة» بفريق من إعلاميّي اليمين اللبناني، وكان إيلي ناكوزي وجيزيل خوري نجميْ محطة افتقرت منذ تأسيسها إلى عنصر النجوميّة الذي يساعد محطة «الجزيرة». وإيلي ناكوزي وفّق بين دوره في المحطة وبين ادارته (شبه) الرسميّة لحملات اياد علاوي الانتخابية. وجيزيل خوري انهمكت بفعل ما تستطيع للترويج للقوات اللبنانية ولأبي فادي دحلان. ولا تحاول محطة «العربيّة» ادّعاء الحياد أو الموضوعيّة، فهي فوق الحياد وتحت سقف العائلة المالكة. فضيوف مكتب الدعاية الأميركية يُستقبلون في كرسي ملاصق لكرسي المذيع (والمذيعة) وهذا شرف لا يحظى به سائر الضيوف، كما أن المسؤولين الكبار في الإدارة الأميركيّة يظهرون على المحطة أكثر مما يظهرون على محطة «فوكس نيوز» اليمينيّة. واستضافة «العربيّة» الضيف الأميركي (والإسرائيلي) باتت مضرب الأمثال بلطفها وتهذيبها وغياب المساءلة. لا يحتاج الضيف الأميركي للتحضير هنا. وعندما حلّ بوش ضيفاً على إيلي ناكوزي، ظهر الأخير كمن يقابل نجماً سينمائياً، فاغراً فاه. سأله عن هذا الإجحاف الشديد في عدم محبة العرب والمسلمين له. كاد ناكوزي أن يضرب الطاولة بيده احتجاجاً على وقاحة جماهير العرب. وعندما تمرّ حاملة طائرات أو أسطول في المنطقة، يأتي القائد العسكري الأميركي إلى استديو المحطّة ليتحدث مدة ساعة أو أقل عن النيّات السلميّة للقوّات الأميركيّة.

لكن التماثل بين محطة «العربيّة» وتوجهات الدعاية الأميركية يبدو مضحكاً في كثير من الأحيان. تجد، مثلاً، تقارير على شاشة «العربيّة» تستفظع التزوير في الانتخابات في... زيمبابوي، ويتحدث الضيوف باستهزاء عن روبرت موغابي. مع أن النظام في زيمبابوي، على تسلّطه، يقلّ فظاعة وفظاظة، بأشواط، عن المملكة التي لا تعترف بالانتخابات ولا بالمعارضة، وإن كانت سمحت ببيعة دائمة للعائلة المالكة، وهذه البيعة تؤهل المملكة لتتفوّق على الديموقراطية الأسوجيّة في نظر الليبراليّين العرب. وهذا التماهي المضحك يظهر في كل الإعلام السعودي. تقرأ مثلاً عبده وازن يستفظع الرقابة وقمع الرأي في إيران ـ ويجب استفظاع قمع الآراء في إيران ـ لكنه لا يرفع الصوت لا عالياً ولا خافتاً عن القمع الأقسى في السعودية، ولم يعترض بكلمة عندما منع النظام المصري، المتحالف مع النظام السعودي، كتاباً من تأليفه هو. لكن وازن قد يكون وجد المثال الأفضل في حرية التعبير في السعوديّة، وهذا ممكن. وحازم صاغية ينتقد النظام السوري والإيراني والليبي والقطري، وهو يريدنا أن نقتنع بأن انتقاداته تنبع من منطلق ليبرالي ليس إلا..أليس من الجرأة انتقاد أعداء السعودية في جرائد أمراء آل سعود؟

وتجلّى دور المحطة في الموضوعيْن اللبناني والعراقي بصورة خاصة. أما في الموضوع الفلسطيني فالمحطة ..تستضيف أبواق الصهيونيّة الذين يأتون إلى المحطتين مكرّمين معزّزين (على الأقل، هم يتعرّضون إلى مساءلة تزعجهم على محطة «الجزيرة»)..

وفي الموضوع اللبناني، تستعين المحطة بفريق كامل الجهوزيّة الدعائيّة من ١٤ آذار، وهي تسمح لوجهتيْ نظر: أي يمكن وجهة نظر أكرم شهيّب أن تتصاحب مع وجهة نظر فارس سعيد. هذا هو التوازن وتعدّد الآراء في الإعلام السعودي، الذي يسمح لأكثر من شخص في الفقرة الواحدة بإغداق المديح للملك السعودي. والتغطية اللبنانيّة هي مثلها مثل كل التغطية العربيّة للمحطة: تأتي من منظار رصد «المخطط الفارسي» للمنطقة. فلا يرد تقرير من دون استغلاله ضد «المخطّط الفارسي». ولا يرد تقرير إلاّ يتضمّن الترويج للمخطط الأميركي ـ الإسرائيلي، ومع إنكار وجود هذا المخطط في الوقت نفسه.

ويرسم القيّمون على محطة «العربيّة» خطّاً واضحاً في موضوع العراق وأفغانستان. والهدف لا لبسَ فيه. فلا احتلال أميركياً في أفغانستان ولا احتلال أميركياً في العراق. هناك قوات «تحالف» مكلّفة القيام بمهمّة إنسانيّة من جانب «المجتمع الدولي» (المصطلح الجديد للدور الصهيوني حول العالم) لحفظ الأمن والسلام في الدولتيْن. وكان واضحاً أن الإعلام السعودي يكيّف نفسَه بمرونة مع أهواء السياسة الأميركيّة. فعندما اقتضى الأمر التحضير للحرب على العراق، أفردت «العربية» تقاريرَ مسهبة عن قمع صدام حسين وظلمه. وعندما رفعت الإدارة الأميركية سيفَ التحريض المذهبي ضد إيران، ماشتها السعودية وأوقفت بث أي تقرير عن ظلم صدام ووحشيته. على العكس، أصبح صدام رمزاً محبّباً بوجه إيران. لكن «العربيّة» تتخصّص أكثر ما تتخصّص في الترويج لـ«مجالس الصحوة» (وهي نموذج عراقي لـ«روابط القرى» التي أنشأها الاحتلال الصهيوني على أرض فلسطين العزيزة بعد ١٩٦٧)، وإظهارها كتعبير عن ديموقراطيّة الإغريق المباشرة.. وكما روّج الإعلام السعودي لفكر القاعدة أثناء الحرب الباردة (ولعبادة شخصيّة صدّام في الحرب العراقيّة ـ الإيرانيّة)، ها هو يروّج لنسق عجيب من الفكر «الليبرالي» ـ البوشي مع مزيج متنافر من سوقيّة إباحيّة (حتى في برامج الأخبار) ومن تزمّت ديني وهّابي. وهذه المعادلة المُخادعة تختصر إعلام آل سعود.

ويخلص أبو خليل في مقالته للقول: للدعاية السياسية شروط وأصول. وهي تفترض أو تتطلّب تماشياً في الحد الأدنى بين أهواء الجمهور وتوجّهات المحطّة. لكن دعاية «العربيّة» تتناقض مع المبادئ الأساسيّة للجمهور وتهينها، ولا سيما في موضوع فلسطين وموضوع العداء لحروب أميركا. وهذه المعضلة تحدّ من إمكان التأثير العريض.. ويمكن محطة «العربيّة» أن تلعب دوراً أساسياً في حشد الجمهور الانتخابي في لبنان، ويمكن الاستعانة بخبرات إيلي ناكوزي في التبعئة الانتخابيّة. وقد تضطر جيزيل خوري لإعداد برنامج «وثائقي» عن خالد ضاهر.

رشاوى، بناء تحالفات، ومؤامرات

أغراض التسلح السعودي وحروب النيابة الأميركية

هاشم عبد الستار

تثير صفقات التسلح التي تعقدها السعودية مع الغرب تساؤلات جديّة واستغراباً، فالحجم الهائل من التسلّيح يتناقض مع سياسات اللهاث وراء التماهي مع الغرب ومع الدولة العبرية، بوصفها الخصم التقليدي للعرب. وأكثر من ذلك، فإن التسلّح الفلكي يتناقض أيضاً مع القدرة الواقعية على استخدام السلاح، فليست هناك خطّط جديّة لتدريب الجيش أو الحرس الوطني بما يجعلهما قادرين على الإضطلاع بمهمة دفاعية وطنية شاملة، دع عنك إقرار عقيدة قتالية تجعل من عناصر المؤسستين محاربين من أجل قضية كبرى.

فور إعلان إدارة الرئيس بوش عن إبرام صفقة ضخمة لبيع الأسلحة للسعودية وخمس دول خليجية تحت ذريعة مواجهة التهديد الإيراني، اندلعت نقاشات واسعة في واشنطن بشأن جدوى ونجاعة تلك الصفقات، فيما كان بعض أعضاء الكونغرس يتأهّبون لتقديم مشاريع قوانين تحول دون إبرامها. وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس أعطت مسحة دبلوماسية على صفقة الأسلحة وقالت بأن الصفقة تأتي في إطار التزام واشنطن بضمان أمن واستقرار حلفائها الإستراتيجيين في الشرق الأوسط. وقالت بأن (الولايات المتحدة مصممة على تقديم ضمانات لحلفائنا بأن من الممكن الإعتماد علينا في مساعدتهم تلبية إحتياجاتهم الأمنية، إن لدينا العديد من المصالح المشتركة في هذه المنطقة سواء تعلق الأمر بمكافحة الإرهاب والتطرف أو الحفاظ على ما تم تحقيقه خلال إنجازات مسارات السلام في السابق وتمديد تلك الإنجازات لتشمل مسارات السلام في المستقبل).

في المقابل رفض عضو مجلس النواب الأميركي جيري نيدلر تفسير رايس على خلفية السجل الطويل للسعودية في دعم الإرهاب. وقال نيدلر (على الرغم من أوهام حكومة الرئيس بوش، فإن السعودية ليست بدولة صديقة لنا، إن السعودية هي المُصَدِّر الأول في العالم للتعليم والدعاية المحرضة على الإرهاب). وزاد النائب أنتوني وينر على ذلك بالقول (إن إقدام الولايات المتحدة على مكافأة دولة مثل السعودية بصفقة لبيع الأسلحة الأكثر تطوراً لدينا بقيمة ٢٠ مليار دولار هو أمر يفوق حد الاستغراب وهو ما سيرفضه الكونغرس).

وإذا كان الملف النووي الإيراني قد دفع الغرب الى تشجيع دول المنطقة على بناء مفاعلات نووية للأغراض السلمية، فإن بيع الأسلحة المتقدّمة للدول الخليجية من شأنه أن يدفع كل دول المنطقة بما فيها إيران الى تعزيز قدراتها الدفاعية والهجومية، أي بمعنى آخر ان هذه الصفقات تحقق مبدأ سباق التسلح في المنطقة، وهو ما لفت الإنتباه إليه جون التزمان، مدير قسم الشرق الأوسط وشمال افريقيا في مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية في واشنطن بقوله (المشكلة في الطرح الذي يدعو إلى تقوية الدول المجاورة لإيران، تكمن في تجاهل قيام إيران بالردّ على هذا الأمر بشكل يزعزع الإستقرار، فهناك وبكل تأكيد أشخاص في إيران يقولون الآن: انظروا ما يجري، إننا لهذا السبب نحتاج إلى الحصول على رادع نووي لأن الولايات المتحدة تعمل على تسليح جميع أعدائنا).

صفقات الأسلحة المبرمة مع السعودية ودول خليجية أخرى تأتي في سياق مشروع عسكري أميركي متكامل يشمل كلاً من الكيان الإسرائيلي ومصر، حيث تعتزم إدارة بوش تقديم مساعدات عسكرية تقدّر بقيمة ٣٠ مليار دولار لإسرائيل ومساعدات أخرى لمصر بقيمة ١٣ مليار دولار على مدى عشرة أعوام.

لماذا التسليح، وما هي وجهته؟

في تحليل صفقات التسلّح التي تجري بوتيرة متسارعة خلال الشهور الأخيرة، تنطلق المقاربات لموضوع التسلّح السعودي من سؤال واحد: لماذا التسليح، وماهي وجهته؟. فقد كتب الصحافي العراقي سيف الله علي متسائلاً عن سر الكرم الأميركي المسلّح، والذي يتطلب بحثاً في دوافع هذا الكرم غير المسبوق، الذي طال حتى مصر، وهي دولة غير نفطية. ويرصد سيف الله بعض الآراء المتداولة بشأن عمليات التسليح، فهناك من يقول أن تعنّت إيران ومواقفها المتشددة بخصوص مفاعلها النووي وتدخلها بالشأن العراقي ودعمها للمنظمات الأرهابية في العراق، وتطلّع إيران الى دول الجوار لأطماع لديها، ومن خلالها تريد التمدد في المنطقة وقضم بعض الأراضي منها، هذا يغذي الإحساس بالخطر لدى دول الخليج، ويدفع بها لتسليح نفسها أمام الطموحات الإيرانية.

وهناك رأي آخر يقول بأن أمريكا تخطط لمهاجمة إيران لتلك الأسباب أعلاه، ولذلك باعت للكويت شبكة منظومة صواريخ باتريوت الدفاعية ضد صواريخ أرض أرض، أما الاسلحة للسعودية فهي متنوعة، وحسب بعض المحللين بأنها خزين للقوات ألأمريكيه، هذا أولاً. وثانياً هي رسالة الى إيران بأن الأمريكيين جادّون هذه المرة ما لم تنفذ إيران طلب الأمم المتحدة ومجلس الأمن بتجميد برنامجها النووي وعدم تدخلها في العراق وإيقاف دعمها لحزب الله في لبنان، وكذلك تدخلها في فلسطين ودعمها لحماس.

هذه هي، حسب سيف الله، المبررات العلنية للسياسة الأمريكية، ولكن من الأمور المخفية ما هو أعظم من ذلك بكثير وهو الشرق الأوسط الجديد الذي بات لا يتحمّل حكومات ثورية على غرار الحكومة الإيرانية.

التصدي للنفوذ الإيراني

أما الكاتب حسام عيتاني، الصحافي اللبناني في جريدة (الأخبار) اللبنانية فكتب في مقالة: (كل هذا السلاح) بأن هدف صفقة الأسلحة الأميركية الضخمة مع الدول العربية (المعتدلة) والمساعدات الأكبر إلى إسرائيل هو التصدي للنفوذ الإيراني وتطويق سوريا وحزب الله وتنظيم القاعدة. هذا ما أعلنته وزيرة الخارجية الأميركية كوندليسا رايس.

ويشرح عيتاني ذلك بأن الولايات المتحدة تريد استبدال سلعتها الجديدة التي حاولت تسويقها في الأعوام الخمسة الماضية، الديموقراطية، بعدما اكتشفت محاذير تصدير الديموقراطية من دون السلة الكاملة من التغييرات الثقافية والاجتماعية والحريات العامة، التي تأتي معها، بسلعة أثبتت الأيام الخوالي نجاعتها: صفقات الأسلحة العملاقة.

لكن الأهداف الأميركية المعلنة تواجه بغموض عربي. ما تريده الولايات المتحدة واضح وخلاصته

تغيير طبيعة الصراع في المنطقة من صراع عربي - إسرائيلي يسعى العرب فيه إلى إنهاء إحتلال أراضيهم، إلى صراع بين معتدلين ومتطرفين. تفيد إلقاء نظرة فاحصة أن المطلوب من العرب هو الإنخراط في سلسلة من الصراعات، قابلة جميعها للتحوّل إلى حروب مدمرة. فما معنى (مواجهة حزب الله) على المستوى اللبناني، على سبيل المثال؟ إنها دعوة علنية إلى تفجير حرب أهلية جديدة في لبنان. لا أكثر من ذلك ولا أقل.

أما تطويق إيران بإعادتها إلى ما وراء (ستار أخضر) يوازي الستار الحديدي الذي شكّل الحد الفاصل بين (العالم الحر) وبين دول المنظومة الإشتراكية، في الحرب الباردة الثانية، فتؤدي إلى ما لا يقل عن تفتيت العديد من دول المنطقة التي تتباين مواقف القوى السياسية الرئيسية فيها، تبايناً شديداً من مسألة العلاقات مع إيران مثل لبنان والعراق وفلسطين.

وإذا تحلّى المرء بحسن النية، فسيكتفي بالإنتباه إلى الغموض الذي يغلف الموقف العربي الرسمي الذي يُقرأ في نتائج اجتماعَي وزراء الخارجية العرب في القاهرة، واجتماع (المعتدلين) منهم مع رايس في شرم الشيخ، أما إذا أراد الإقتراب من الواقعية، فسيرى أن درجة معيبة من التواطؤ تنضح منه.

تواطؤ ضد مَن ولمصلحة ماذا؟ أقل ما يمكن قوله في هذا المقام إنه تواطؤ مع مشروع أميركي يريد قسمة المنطقة على أساس مذهبي، بين (أنظمة معتدلة سنية) و(إيران الشيعية وحلفائها). والولايات المتحدة التي أزالت منطقتي العزل اللتين كانتا تحيطان بإيران من الشرق والغرب (نظام طالبان في أفغانستان من الشرق ونظام صدام حسين في العراق من الغرب) اكتشفت، بثمن باهظ، أنها أطلقت الجني من قمقمه. لذا على العرب، المعروفين بنجدة الملهوف، مساعدتها في إعادة الجني إلى حجمه السابق، على الأقل.

أما المصلحة، فتحتاج في دنيا العرب اليوم إلى تعريف جديد: أين تكمن المصالح العربية في الانضواء في مشروع كهذا؟ ننحّي جانباً حديث تبديد الثروات على أسلحة ستصدأ في مستودعاتها، مقابل إبداء الدهشة أمام الإصرار على رسم خرائط تقسيم جديد للمنطقة العربية يُخترع فيها، من العدم أو ممّا يدانيه، عدو جديد للعرب.

وظيفة التسلّح: كشف أحجية

في مقاربة الكاتب السياسي المصري سمير كرم لفتات هامة، حيث التعارض بين وظيفة التسلح وأهدافه. فتحت عنوان (..وتبقى السعودية منزوعة السلاح) إفتتح كرم مقالته بسؤال - أحجية: كيف يمكن تزويد دولة منزوعة السلاح بأسلحة متفوقة - جوية وبحرية وبرية، هجومية ودفاعية - مع إبقائها منزوعة السلاح؟. ولا يجد كرم صعوبة في تفكيك هذه الإحجية، طالما أن ثمة حقائق تميط اللثام عنها (فالدولة المنزوعة السلاح هي المملكة العربية السعودية، ومصدر السلاح هو الولايات المتحدة الاميركية.. أما بنود الإبقاء على نزع السلاح فتبقى بنوداً إسرائيلية، أي بنوداً تفرضها إسرائيل على أية صفقة أسلحة للسعودية.. وهذا أمر إعتادت عليه كل الأطراف: الولايات المتحدة وإسرائيل.. وبالأخص السعودية).

وتتواصل عملية الكشف عن الأحجية من خلال مقارنة صفقة التسلّح الأخيرة مع صفقات سابقة أجرتها السعودية مع الغرب فقيمة الصفقة الجديدة للسعودية وحدها تصل إلى عشرين مليار دولار (أي تصل إلى قيمة صفقة اليمامة الشهيرة التي عقدتها السعودية مع بريطانيا التي كانت قد لقيت من اهتمام العالم ما لقيت بسبب مليار هنا ومليار هناك في صورة رشوة لإتمام الصفقة.. ولم يلق لغز استمرار حالة السعودية كدولة منزوعة السلاح أي تساؤل في مجلس العموم أو مجلس الأمراء أو أي مجلس كان).

ويمضي كرم (حتى وقيمة الصفقة الجديدة قريبة من قيمة صفقة اليمامة فإنه قد أمكن طمأنة إسرائيل إلى أن استمرار وضعية السعودية بعدها كدولة منزوعة السلاح.. إلى حد جَعْلها - أي إسرائيل - تتغاضى عن الصخب الذي اعتادت أن تثيره قبل وأثناء وبعد جلسات الطمأنينة مع فعاليات الإدارة الاميركية والكونغرس الاميركي. هذه المرة - وحسب ما روت هيرالد تريبيون (٢٠٠٧/٧/٣٠) - وفي ابتعاد له مغزاه عن سياسة إسرائيل الماضية، لم يفرض رئيس الوزراء الاسرائيلي أية اعتراضات على خطة أميركية جديدة لبيع أسلحة أميركية على أعلى درجة من التطور للعربية السعودية ولدول عربية معتدلة أخرى، قائلا إن إيران هي العدو المشترك.



وتساءل كرم عن حكاية زيادة وتيرة التسليح في المنطقة، وتدجيج واشنطن حلفائها بكميات كبيرة من الأسلحة المتطوّرة: هل تنوي أميركا الإستغناء عن خوض حرب ضد إيران بنفسها - أو كتفا بكتف مع إسرائيل - وتفكر في أن تعهد بالمهمة الى دول الشرق الاوسط المعتدلة.. حلفائها العرب؟

هل يمكن تصور هذا - عسكرياً - فيما الولايات المتحدة عاملت صفقتها الباهظة القيمة مالياً للسعودية معاملة كل الصفقات السابقة؟ لقد فرضت على السعودية شروطها التقليدية: قيود على المدى والحجم والموقع بالنسبة لما تتضمنه الصفقة من (قنابل توجهها الأقمار الاصطناعية)، والتزام بعدم تخزين هذه الأسلحة في قواعد جوية قريبة من الاراضي الاسرائيلية. بالحرف هذا منطوق ما قاله المسؤولون من وزارة الخارجية الاميركية الذين تحدّثوا إلى الصحافة عن الصفقة موضحين ما أبلغت به الإدارة الكونغرس في هذا الشأن لتهدئة خواطر النواب والشيوخ الاميركيين، الذين هم في العادة أشد غيرة على أمن اسرائيل ومصالحها من إيهود أولمرت وكل من سبقوه من شارون رجوعاً الى بن غوريون.

فإذا لم يكن الإستغناء عن حرب مباشرة أميركية أو اميركية - إسرائيلية على إيران ممكناً عسكرياً، خاصة اذا كان البديل هو بعض حلفاء أميركا المعتدلين تتقدمهم السعودية فهل يكون ممكناً سياسياً؟

يرى كرم بأن إمكانية استغناء الولايات المتحدة عن الحرب المباشرة مع إيران من خلال إقحام حلفائها في تلك الحرب جنباً إلى جنب وكتفاً بكتف مع الإسرائيليين تهدف إلى (التقريب بين المعتدلين العرب وإسرائيل.. والمقصود هنا - طبعاً - المعتدلون العرب الذين لا يزالون يفتقرون الى صك غفران اسرائيلي في صورة معاهدة سلام أو تطبيع جزئي أو علاقات مموّهة. وربما تكشف جملة أولمرت لتبرير الصفقة السعودية بدلا من افتعال الصخب ضدها - كما كانت العادة الاسرائيلية المألوفة - ونعني قوله: إيران هي العدو المشترك.. عن أكثر مما قصد أو أكثر مما يود المسؤولون في واشنطن أن يقال في توقيت إعلان الصفقة. فقد سبقت هذه العبارة بأيام تصريحات رايس عن أن (هذه الجهود ستساعد في تعزيز قوى الإعتدال، وستدعم استراتيجية اوسع نطاقا للتصدي للتأثير السلبي للقاعدة وحزب الله وسوريا وإيران). وعبارة أولمرت تكشف فضلاً عن ذلك عن مرحلة جديدة سياسياً تتجاوز كثيراً حدود طمأنة إسرائيل إلى أن الأسلحة للسعودية لن تستخدم ضدها، ولن تكون أصلاً مجهزة بحيث يبقى احتمال استخدامها ضدها.

هنا تظهر أهمية اعلان توقيت صفقة الاسلحة للسعودية ودول الخليج وصفقة المساعدات العسكرية الزائدة لإسرائيل، غير بعيد عن المحادثات التي اجراها وزيرا خارجية مصر والاردن تحت علم جامعة الدول العربية (للمرة الاولى في تاريخ هذه الجامعة) والتي فتحت المبادرة السعودية على مصراعيها امام اسرائيل لتشريح جزئياتها.. لتنتقي ما ترفض وتقبل ما يمكن أن تقبل اذا بقي ما تقبله.

وذلك بعدما كانت معروضة عليها تقبلها كما هي أو ترفضها.

يعود كرم إلى طرح السؤال المبدئي ولكن بطريقة أخرى: هل من الضروري أن تزوّد الولايات المتحدة السعودية بصفقة باهظة النفقات الى هذا الحد من أجل هدف سياسي، بينما تبقى المملكة منزوعة السلاح فعلياً؟

لقد تأخّرت الإدارة الاميركية قبل أن تجعل من هذه الصفقة واقعاً فعلياً، حتى وإن كان التنفيذ سيستغرق - بدوره - وقتا طويلا. فقد ارتفعت اسعار النفط منذ وقت طويل، وتراكمت المليارات في البنوك التي تستثمر فيها السعودية وشقيقاتها الخليجيات أموالها النفطية. وفي كل الأحوال فإن الفوائض المالية وصلت الى الحدود التي عندها يصبح حتمياً أن تفكر واشنطن (بالأحرى نيويورك) في استرداد جزء يستحق العناء مما دفع للسعودية وشقيقاتها ثمناً للنفط. ليكون ثمنا للسلاح.

ويطرح كرم تفسيراً مختلفاً لتصاعد منسوب الإنتقادات الأميركية إعلامياً وسياسياً للسعودية خلال فترة ابرام الصفقة، ويصف كرم ذلك بأن موسم (تكسير مجاذيف) السعودية قبل الدخول معها في محادثات لها أهميتها الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية. ويشرح ذلك بالقول بأن اشنطن تفضل السعودية في وضع أضعف أمامها حين تكون المحادثات بينهما مفتوحة على بوابات السلام مع اسرائيل، الحرب مع ايران، الإستعداد لدور سنّي ضد القوى المتحالفة مع ايران في المنطقة، والاستعداد لدور غير سنّي مع القوى المؤيدة لأميركا في العراق..

انها مجرد تكتيكات أميركية لا تنقصها البراعة في التعامل مع المعتدلين العرب.. لكن تنقصها البراعة - أو لعلنا نقول تفتقر كلية الى البراعة - في تحقيق هدف تسوية أو حتى إخفاء تناقضات وخلافات الإدارة الاميركية.

أما بالنسبة لإسرائيل، فهي تريد نتائج حسيّة فعلية في ما يتعلق باقتناع السعودية أو غيرها من الممالك المعتدلة العربية بالدخول في سلام معها (حتى ولو فرصة لالتقاط صورة - كما يقول التعبير الأميركي - يظهر فيها وزير الخارجية السعودي مع تسيبي ليفني او يظهر فيها المستشار السعودي للأمن القومي مع إيهود أولمرت تأكيداً للنوايا الحسنة). اما النوايا الحسنة من الجانب الاسرائيلي ففي واشنطن ونيويورك (عاصمة اليهود العالمية) من يعتقد أنها بلغت أقصاها في السماح بصفقة العشرين مليار دولار أسلحة للسعودية. لكن هناك أيضا داخل الادارة الاميركية وفي (لوبي النفط) من يعتقد أن دفع الأمور الى حدود قصوى مع السعودية في ما يتعلق بإسرائيل والسلام معها يضعف السعودية ويعجزها عن أداء الأدوار المطلوبة منها أميركيا في العراق، إزاء إيران، وفي لبنان ازاء الشيعة وفي المنطقة ككل ازاء السُّنة والارهاب.

مع ذلك فقد نجحت إسرائيل في حمل ادارة بوش ..على (إقناع) السعودية بأنه ليس من مصلحتها في الأجل الطويل مواصلة اللقاءات والزيارات والمحادثات المتبادلة (تلك التي كانت متبادلة لفترة) بين الرياض وطهران. وإذا ما لاح في الأفق - مرة اخرى - إحتمال استئناف مثل هذه الإتصالات، سواء بشأن لبنان أو العراق أو النفط أو الشأن الشيعي - السني، فإن إسرائيل لن تتأخر عن التدخل بأساليبها التقليدية وغير التقليدية ضد علاقات مستقرة بين واشنطن وحلفائها في المنطقة العربية. فالأولوية في واشنطن بصفة مطلقة ومؤمّنة هي للمصالح الاسرائيلية. فضلا عن أن القاهرة تقف متربّصة معارضة لتقارب ثنائي بين الرياض وطهران يلقي ظلاً على دور الاخ الاكبر المصري.

ويضع كرم الصفقات في بناء تحالف إستراتيجي بين واشنطن واسرائيل ودول (الإعتدال)، والذي يمثل، حسب كرم، الحلم لدى إدارة بوش، متمثلاً في إقامة تحالف إقليمي، على غرار حلف الأطلسي في منطقة الشرق الاوسط يضم اسرائيل ومصر والاردن والسعودية ودول الخليج ودولة السلطة الفلسطينية والعراق وتركيا.

في خلاصة المقاربات المتنوّعة لصفقات التسلّح السعودية مع الولايات المتحدة والغرب عموماً يبدو أن الأمراء قرروا التخلي عن تقليديتهم في التعاطي مع القضايا الساخنة في المنطقة، فقد أبقوا على الرشاوى، وبناء التحالفات الدولية عن طريق مقايضة حقن الإقتصاديات الغربية في مقابل زرع أراضينا بالقواعد العسكرية، وتكديس الأسلحة في مخازن خاصة ليست قابلة للإستعمال من قبل الجيش، وأضافوا لها بعداً آخر، حيث يتم التنسيق على مستويات عليا بين الخصوم المزعومين (السعودية والكيان الإسرائيلي) من أجل محاربة القوى الممانعة في المنطقة، بكل الوسائل المتاحة المشروعة أو حتى القذرة.

ماذا تبقى من مساجد المدينة المنورة؟

د. هتون أجواد الفاسي

لا أدري ما هو سبب سكوت وزارة الأوقاف أو الشؤون الإسلامية أو البلدية أو غيرها عمن يقوم بعمليات هدم وإزالة بين المساجد التاريخية في المدينة المنورة. فكتب التاريخ لا تورد لنا شيئاً من هذا، لكن التاريخ المعاصر يثبت أن مساجد صدر الإسلام آخذة في الاختفاء والتناقص شيئاً فشيئاً دون أن نسمع تعليقاً أو إشارة مما يؤدي إلى وضع المسلمين أمام أمر واقع بإزالة المعمار الإسلامي الأول واستبداله بآخر مرمري لامع، أو بإحدى ناطحات السحاب أو بإحدى المصارف الحديثة أو بشارع مسفلت فحسب. والحدث الجديد والذي لا أدري كم مضى عليه من الزمن هو إزالة ستة من المساجد السبعة التي بنيت على مواقع صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته أثناء غزوة الخندق ولم يُستبق منها إلا مسجد الفتح وهو مسجد مهمل حالياً على تلة تطل على الخندق وجبل سلع الذي تحول إلى مسجد ضخم فاخر ابتلع المنطقة كلها. هل هذا هو التطور والتحديث الذي نسعى إليه؟

إن هذه المساجد هي إما مساجد بناها النبي (ص) وصلى فيها كمسجد قباء والمسجد النبوي ومسجد الفضيخ، أو هي مساجد صلى في موضعها واتخذها الصحابة رضي الله عنهم مساجد كمسجد الإجابة وبني أنيف وبني حرام وبني دينار وبني ظفر والجمعة ودار سعد بن خيثمة والسجدة والشيخين وعتبان بن مالك والعصبة والميقات وغيرها، ومنها مساجد بناها الصحابة وكانوا يصلون فيها فجاء إليهم الرسول (ص) في مسجدهم كمسجد القبلتين الذي كان مسجد بني سلمة ومسجد بنو حارثة أو المستراح. ومنها مساجد صلى النبي وأصحابه في موضعها لكن لم يبن عليه مسجد إلى أن جاء عمر بن عبدالعزيز فقام ببنائها في الأماكن التي صلى فيها النبي (ص) كمسجد الراية ومشربة أم ابراهيم والسقيا وبني قريظة والفسح والغمامة أو المصلى ومسجد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وبني دينار والمساجد السبعة، وجدد الأخرى خلال ولايته على المدينة المنورة بين عامي ٨٧-٩٣ هـ وهو ما عرف بالبناء العمري ثم قام السلاطين العثمانيون بتجديدها وترميمها في عصور مختلفة.

وقصة مساجد الفتح التي أزيلت حديثاً مرتبطة بغزوة الخندق أو غزوة الأحزاب التي أصاب المسلمون فيها شدة كبيرة. وتقع المساجد السبعة على سفح جبل سلع وصلى عليه الصلاة والسلام في الساحة المعروفة بالمساجد السبعة أثناء الغزوة، وكان يدعو فيها على الكفار حتى جاءته البشرى بالفتح في اليوم الثالث. هذه المساجد بخلاف واحد منها قد هدمت وأزيلت. وهو ما نتوقف عنده بعلامة استفهام كبيرة حول المسؤولين والغرض من القضاء على آثار خير البشر واستبدالها بما هو دون ذلك. فالآثار سواء كانت دينية أو غير دينية هي حق للأجيال وللشعوب وللإنسانية وليست من حق فئة محدودة من البشر لا سيما إن كنا نتحدث عن آثار إسلامية ملكيتها تعود إلى العالم الإسلامي وليس من حقنا كأقلية مكلفين على رعايتها في الوقت الحاضر أن نتصرف فيها بالتدمير أو الازالة مهما كانت الأسباب.

• موقع العربية، ٠٨/٧/١٥

مفسدون ينظّرون للفضيلة ويدّعونها!

زعم المستشار القانوني لديوان المراقبة العامة بالسعودية سعيد بن سعد الشهراني ان المملكة كانت من أوائل الدول التي عملت على محاربة الفساد بكل اشكاله في مختلف القطاعات الحكومية والخاصة، وقال خلال اجتماع عقد مؤخرا في القاهرة، ان المملكة حريصة على الاستمرار في محاربة الفساد الاداري في جميع أرجاء الوطن.

ومعلوم أن السعودية تعد في قعر الدول في العالم في فسادها خلال السنوات الماضية حسب منظمة الشفافية الدولية، وحسب المواطنين أنفسهم الذين يعانون من استشراء الفساد في كل أجهزة الدولة بما فيها القضاء. ومع هذا، فآل سعود يطيب لهم الزعم بأنهم الأطهر من كل خلق الله: ألا إنهم المفسدون حقاً، ألا أنهم مصدّرو الفساد الى أصقاع عربية وإسلامية وحتى غربية، وصفقة اليمامة كافية للرد.

تواصل الحملة الإعلامية ضد دمشق والعلاقات في القعر

لاتزال الحملة الإعلامية السعودية ضد سوريا قائمة، وقد ساءت العلاقات أكثر فأكثر في الأسابيع الماضية بسبب التغطية السعودية لحادثة اغتيال العميد محمد سليمان أحد المستشارين لبشار الأسد. وقد هاجمت الفضائية السورية (الدنيا) الإعلام السعودي لأنه حوّل الجريمة الى حملة إعلامية شرسة ضد سوريا. واضافت: (إن ما عجزت السياسة السعودية عن تحقيقه في الواقع ضد الموقف السوري المؤيد للمقاومة في لبنان تحاول أن تجسده في الإعلام).

في غضون ذلك، أكدت مصادر سورية مقربة من الجانب الرسمي، أن العلاقات السورية - السعودية يمكن وصفها بـ (السيئة)، كاشفةً أن وزير الخارجية السوري وليد المعلم قاطع اجتماع اللجنة التنفيذية لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد بجدة، وأوفد نائبه فيصل المقداد ممثلا عنه، وذلك نظراً (لسوء العلاقات بين البلدين). يذكر أن العلاقات بين سوريا وكلا من مصر والسعودية كانت قد شهدت توترا حادا بعد أن وصف الرئيس السوري بشار الأسد في تصريحات له بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦، قادة العرب الذين انتقدوا حزب الله على (تهوره) بـ (أنصاف الرجال).

وئام وهاب: السعودية قتلت الحريري

قال الوزير اللبناني السابق وئام وهاب بأن السعودية ضالعة في اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري. وأعلن في حديث لمحطة تلفزيون OTV بأنه (لو وُجّه التحقيق في الجريمة الى الوجهة الصحيحة فسينكشف تورط جهات سعودية في مقتل الحريري). وأضاف: (المشكلة ليست في تمويل محاكمة قتلة الحريري.. السعودية تدفع أكثر من تمويل المحكمة يوميا للتخريب في لبنان). وأكد وهاب أن (المشكلة هي أن المحقق الدولي دانيال بيلمار لا يملك أدلة كافية للإدعاء، لأن التحقيق في مقتل الحريري وُجّه الى المكان الخطأ).

قيادي يطالب تغيير السعودية سياستها في العراق

دعا علي الأديب النائب العراقي الذي يدير الحكومة العراقية بالشراكة مع رئيس الوزراء نوري المالكي الحكومة السعودية لاعادة النظر في مواقفها إزاء العراق. وقال الأديب إن (العراق ينتظر رؤية سعودية جديدة تجاه العملية السياسية لاسيما بعد أن غيرت عدة عواصم عربية من مواقفها كونها استوعبت التطورات الجديدة في البلاد). وأضاف: (العراق لم تكن له مواقف سلبية تجاه السعودية.. دول كثيرة حضت السعودية على تغيير موقفها) ولكنها حتى الآن لم تغير موقفها، رغم وعودها الكثيرة.

وتابع: (ما يهمنا الان هو العمل على ايجاد علاقات استراتيجية وعميقة قائمة على المصالح المتبادلة مع أغلب دول العالم خاصة تلك التي تريد التعاون مع العراق، لاسيما الدول المجاورة التي قد يكون في ما بينها وبيننا تأثيرات ومصالح متبادلة). وقال: (نحاول ان ننتهج سياسة ايجابية تجاه الأخر، وينتظر من الأخر السياسة نفسها، فالعراق يرنو الى الاستقلال وتحقيق السيادة الناجزة بشكل كامل، واتباع سياسة هي الاولى من نوعها في المنطقة من ناحية الايجابية والانفتاح على جميع الدول في العالم، على ان يكون الهدف الاساسي في هذه العلاقة هو المصالح والمنافع المتبادلة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية).

المعلوم ان الإمارات والكويت والبحرين ودول عربية عديدة وأجنبية تقيم علاقات مع العراق، لكن السعودية أرادت ابتزاز الحكومة العراقية، ولكنها تجد نفسها وحيدة ضعيفة التأثير في مجرى الوضع العراقي بسبب غيابها.

قضاء فاسد يرفض النظر في أكبر قضية تلوث

رفض فرع ديوان المظالم بالمدينة المنورة الدعوى التي تقدم بها ثلاثة من محامي ما يقارب من ٦٠٠ مواطن ضد ثلاث جهات حكومية عرضت منطقتهم للتلوث مطالبين بصرف نحو ملياري دولار لتعويض المنطقة وإصلاحها. وقال المحامي سعود الحجيلي رئيس فريق الادعاء في قضية حمراء الأسد بالقرب من المدينة المنورة في تصريحات صحفية إنه يحترم قرار القضاة ولكنه لا يرضى به وسيستأنف الحكم.

وكان التلوث قد قتل أطفالاً ولوث مياه الشرب كما قضى على الحيوانات في تلك المنطقة بسبب تسرب النفايات الصناعية إلى مياه الشرب وآبار الري. وقد أثارت هذه القضية ضجة كبيرة خصوصاً إن إحدى الجامعات أثبتت صحة تلوث المنطقة بينما أنكرت جهات حكومية ذلك.واستاء المواطنون من الحكم الذي لم يذكر فيه القضاة سبب رفضهم للقضية. المواطنون عولوا كثيراً على هذه الجلسة لإنقاذهم من المعاناة وتعويضهم عن الضرر. وقال أحدهم: (وقع قرار المحكمة على مسامعنا كالصاعقة فقد كنا ننتظر انتهاء المعاناة ونقل مرمى النفايات على أقل تقدير بعيداً عن الحي، ولم نكن ننظر إلى الحصول على تعويضات بقدر ما كنا حريصين على إنهاء المعاناة مع الأمراض والتلوث). وقال آخر: (كان لدينا أمل أن نجد إنصافاً للطفلة شوق ذات الخمسة أعوام التي ماتت نتيجة تعرضها لورم في المخ ناجم عن التلوث).

وذكر خالد الصاعدي وهو أحد مواطني تلك المنطقة أن الطفلين تركي المطرفي (١٥ عاماً) وشقيقه عامر (١٢ عاماً) توفيا قبل أربعة أشهر أيضاً، وتم إدراج اسميهما ضمن قائمة المتضررين إضافة إلى شقيقهم الثالث عمار ذي العشرة أعوام، لكنهم لم يحصلوا على الإنصاف في حياتهم وبعد مماتهم متسائلاً: (هل ننتظر المزيد من الضحايا لإثبات وجود التلوث؟).

وكان المجلس البلدي للمدينة المنورة قد أقر في شهر ذو القعدة الماضي، تلوث مرمى النفايات في حمراء الأسد لاستقباله مياها ملوثة بمعادن ثقيلة كالزرنيخ، الكاديوم، والكروم على مدى ٢٠ عاماً. وأظهرت نتائج التحاليل الأولية الصادرة من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وجود نسب عالية من هذه المعادن.

الإحتفالات في الحجاز

إبراهيم الأقصم

حَفَل القوم واحتفلوا: اجتمعوا واحتشدوا، والمحفل: المجلس والمجتمع. وتدخل الإحتفالات ضمن المظاهر الإجتماعية عند العرب، وتشمل الألعاب والأعراس والأعياد، والمناسبات الإجتماعية، والزيارات الموسمية وغيرها. وقد حفلت المصادر بوصف هذه المظاهر دون أن يقف الباحث على مصدر أو مرجع يتحدث عنها بإفراد. وتكمن صعوبة البحث في موضوع الإحتفالات في أنها تمتد لحقب طويلة، وتتباين من جيل الى جيل، وتتأثر بالمتغيرات الثقافية. والمعروف أن بلاد الحرمين (ونقصد الحجاز) كانت محط هجرات لكثير من القبائل والأجناس، مما يجعل مهمة الحديث عن هذه الإحتفالات أمراً صعباً. لذا سنحاول تناول كل حقبة تاريخية بإجمال، بدءاً بالجاهلية وصدر الإسلام والى وقتنا الحاضر.

كان لأهل مكة والمدينة احتفالات في الجاهلية والإسلام. فقد عنون الفاكهي في (تاريخ مكة) عدة عناوين يتعلق مضمونها بالإحتفالات مثل: (ذكر قول أهل مكة في السماع والغناء والأعراس والختان).. وذكر أن أهل مكة كانوا يحتفلون بالأعراس والختان ويستمعون للغناء والشعر في الجاهلية والإسلام.

الإحتفالات في العصر الجاهلي

كانت الإحتفالات العامة في العصر الجاهلي تقام بمكة المكرمة، فتضرب فيها الدفوف وتعزف المزامير خاصة في الأعراس، وقد اشتهر المكيون بالغناء منذ وقت مبكر، وكان للمترفين بمكة مجالس سمر، ينصبون لها الأرائك، ويمدون فيها الموائد، ويتفكهون بما طاب من ثمار الطائف، وكانوا يتخذون مجالس الشراب، ويستمعون فيها للشعر والقصص والغناء. وقد حفلت العديد من مصادر الأدب بهذه الأخبار مثل (العقد الفريد) لابن عبد ربه، و (الأغاني) للأصفهاني.

كانت هناك عدة احتفالات تقام في الأسواق الموسمية المشهورة. ففي مكة كان هناك سوق عكاظ، وسوق مجنة، وذي المجاز، حيث يجتمع الناس من الأعيان والشعراء للمفاخرة، فكانوا يتفاخرون بالنسب أو بالشرف أو بالخصال الحميدة كالكرم والجود والنجدة والمروءة. كما كان العرب يجتمعون في تلك الأسواق للمنافرة، أي أنهم يتحاكمون في النسب كما حدث بين بني أمية وبني هاشم من منافرات مدونة في مصادر الشعر العربي الجاهلي.

وكانت دار الندوة التي أسسها قصي بن كلاب زعيم قريش، تمثل مركزاً سياسياً واجتماعياً يجتمع بها أعيان مكة للتشاور حول قضايا سياسية واجتماعية، بل كانت تجري بها عقود الزواج أحياناً، ويحتفلون بها في المناسبات، حيث كان يدعى فيها الأهل والأقارب والأصحاب، وكانوا يحتفلون بزواجهم ليلاً، وقد يكون الإحتفال أحياناً في اليوم السابع، وتقام الولائم عادة في النهار. وكانوا في الجاهلية يقدمون مع اللحم الشراب أحياناً. ولم تكن هناك دور خاصة تقام فيها الإحتفالات، سوى أن بعض رجال قريش كانوا يعقدون لبناتهم في دار الندوة.

وكانت لأهل مكة في الجاهلية احتفالات بقدوم المولود، فيقيمون له حفلاً في يوم ختانه، ولم يكن الختان مرتبطاً بيوم معين، فهناك من يختن في السابع، وهناك من يختن قبيل البلوغ. وكانت حفلات الختان تقام وتستمر أكثر من يوم، وقد تستغرق لثلاثة أيام أو سبعة، وفي تلك الحفلات يحضر المغنون والمغنيات ويحضر أصحاب الألعاب والصبيان، وتقدم الحلوى ومختلف أصناف الطعام التي تعكس الجوانب الإقتصادية لكل أسرة.

وضمن احتفالات المكيين في الجاهلية، كان الناس يخرجون الى بعض الأماكن لمشاهدة الألعاب التي يمارسها فتيان مكة، كما أنهم كانوا يجتمعون لمشاهدة السبق، وهو ما يكون بين الأفراس في حلبات السباق، ومنها ما يكون بين الناس كالجري، واستمر معظم ذلك في الإسلام. لقد كان أهل مكة والمدينة يخرجون الى عدة أماكن، يحتفلون بالسبق. والسبق أو سباق الخيل رياضة جاهلية، كانت سائدة عند العرب، وفي روايات، أن أول من ذللت له الخيل بعد أن كانت وحشية هو إسماعيل عليه السلام في أجياد بمكة.

وأهل المدينة كانوا في الجاهلية يحتفلون بيومين عندهم، كما كان يوم السبت معظماً عند يهود المدينة، وهو بمثابة عيد اسبوعي. فعن أنس رضي الله عنه قال: (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما: يوم الفطر والأضحى). وكذلك عندما قدم النبي المدينة وجدهم يحتفلون بيوم عاشوراء. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، وهذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: فأنا أحقّ بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه). وهذا اليوم كان اليهود بالمدينة يجعلونه كالعيد، وكان أهل خيبر يُلبسون أبناءهم ونساءهم أحسن اللباس في ذلك اليوم.

الإحتفالات في صدر الإسلام

تغيرت مفاهيم المسلمين نحو اللهو والإحتفالات، وأصبحت محاطة بسياج فقهي شرعي، كما ألغى الإسلام بعض الأعياد الجاهلية. فالإسلام أجاز اللهو المباح، وجعل له ضوابط، وراعى العادات والجِبِلات والأعراف، فتغيرت أفكار الناس الذين أسلموا، وبقدوم الإسلام، أصبح المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة المركزين الدينيين اللذين كان يجتمع فيهما المسلمون لأداء الصلوات والجمع والجماعات وإقامة الإحتفالات بالأعياد والمناسبات. فقد كان يحدث بالمسجد النبوي، تبادل القصائد والشعر والمدح والرثاء، واستقبال وفود العرب.

حدثت في المجتمع المدني في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عدة احتفالات. أولها تلك الصور الجميلة التي نقلتها مصادر السيرة عندما هاجر النبي من مكة الى المدينة، وأخذ الناس في يثرب ينتظرون وصول الركب المبارك الميمون، فكانوا يخرجون خارج يثرب ينتظرون قدومه صلى الله عليه وسلم، وعندما بدا لهم محياه قامت الإحتفالات، وصدحت الأناشيد،

وضربت الدفوف، وأنشد الصبيان، وامتلأت الطرقات بالرجال والنساء محتفلة بهذا الحدث الذي غير كل شيء في حياتهم، حتى إسم مدينتهم القديم (يثرب) أصبح (المدينة، طيبة).

من جهة أخرى، جاء الإسلام باحتفالات لمناسبات تعبدية رغّب فيها الشارع، وجاءت أحكام فقهية كضوابط لها. وفي الإسلام كانت رياضة السبق محل اهتمام النبي وصحابته، فكان عليه السلام يعقد السبق بين لاصحابة في الخيل، فيحتفل الناس بتلك الرياضة ويتنافسون فيها. وقد عقد البخاري أبواباً متعددة في السبق بين الخيل، وذكر عدّة أحاديث في ذلك. ولم يكن السبق مقتصراً على الخيل، بل كانت هناك عدة سباقات، منها: الترامي بالسهام، واستعمال الأسلحة، والتسابق بالإبل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسابق مع الصحابة، كما ورد في قصة الإعرابي الذي سبق ناقة النبي العضباء. والمهم هنا أن السبق كان ضمن احتفالات المسلمين بالمدينة منذ عهد النبي وظل مستمراً الى عصرنا الحاضر.

الإحتفال بالعيدين

احتفل المسلمون في مكة والمدينة ومنذ صدر الإسلام وحتى الآن بالعيدين: الفطر والأضحى. ومظاهر الإحتفالات كانت تظهر في لبس أجمل الثياب، ورفع الصوت بالذكر والتهليل والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر الفاكهي ما كان يفعله أهل مكة من احتفالات في عيد الأضحى وأيام الحج تحت عنوان (ذكر التكبير بمكة في أيام العشر، وما جاء فيه والتكبير ليلة الفطر وتفسير ذلك). وذكر أن الناس كانوا يكبرون الله في الطرقات والأسواق وبمنى. كما ذكر البخاري (باب: التكبير أيام منى) أن عمر رضي الله عنه كان يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى من التكبير. كما كان المسلمون يحتفلون في عيد الأضحى بذبح الأضاحي تعبّداً لرب العالمين، وابتهاجاً بقدوم العيد.

من خلال الأعياد، احتفل المسلمون بالمدينة في عهد رسول الله بإقامة بعض الألعاب، والحفلات الغنائية المباحة، وتجملوا وذبحوا الذبائح. أخرج البخاري حديث عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: أمزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأقبل عليه صلى الله عليه وسلم فقال: دعهما. فلما غفل غمزتهما فخرجتا. فكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب. فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم. فأقامني وراءه، خدّي على خدّه وهو يقول: (دونكم يا بني أرفدة). حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي.

والغناء في الحديث، كان من الغناء المباح وهو المصاحب بالدف، وليس من الغناء المحرم. كما أن إعراض النبي عن السماع بتحويل وجهه فيه دلالة على ترفعه صلى الله عليه وسلم وتنزهه عن السماع بالرغم من إباحته. أما في مكة، فقد ذكر الفاكهي (في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) أن الناس في الأعياد كانوا يجتمعون لمشاهدة بعض الألعاب وكان هو ممن شهدها.

الإحتفال بالعرس

حث الإسلام على الإحتفال بإعلان النكاح وعلى إقامة الولائم، كما أباح للنساء الغناء بالدف، وجعل ذلك من الرخصة. وكانت هناك أنماط عديدة من الإحتفالات أقيمت في المدينة، ذكر البخاري عدة أبواب تتعلق بما كان يجري فيها بين الناس في عهد رسول الله في باب (كتاب النكاح) وباب (ضرب الدف في النكاح والوليمة). وذكر أن الجواري كن يضربن بالدف ويغنين. كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على الوليمة في احتفال النكاح، إذ قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (أولم ولو بشاة).



عروس من مكة المكرمة في ثوب العرس

كان الناس بالمدينة المنورة يحتفلون بوليمة العرس في يوم أو يومين أو ثلاثة وأحياناً سبعة. كما كانت النسوة والصبيان يذهبون للعرس ويقدمون الهدية للعروس، كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتن لمن يقوم بهذا العمل لما فيه من الأجر والثواب، كما كان يقدم في حفلة العرس أنواع من الشراب الذي لا يُسكر في العرس.

الإحتفال بالعقيقة

احتفل المسلمون بالعقيقة وهي ما يذبح عن المولود، فعندما يولد المولود حث الإسلام على تسميته، وتحنيكه، وحلق رأسه، ثم يذبح عن الأنثى المولودة شاة وعن الذكر شاتان، وكان الناس يحضرون تلك المناسبات ويباركون للمولود وتقام الإحتفالات بالمناسبة.

الإحتفال بالختان

سطرت المصادر المكية والمدنية على مر الأزمان بعض الصور التي لاتزال قائمة في حفلات العقيقة أو يوم الختان. فقد وصف لنا العز ابن فهد حفلة ختان تمت لابن أحد الأعيان سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م فذكر أن المختون زفّ من جهة المروة الى سكنه على فرس، لابساً عمامة مدورة وخلعة مخملة وفرو سنجاب، وكان يمشي قدامه بعض المغنين المكيين بالطبل والزمر، فإذا وصلوا الى السكن قاموا بختنه. وكان مؤرخون آخرون قد ذكروا صوراً أخرى مثل الطواف بالمختون في شوارع مكة، والطواف به حول الكعبة سبع مرات، وتقام الحفلات وتمد بها الأسمطة التي لا تخلو من أطايب الطعام كحلويات اللوزية والمضروب.

وفي المدينة المنورة يتشابه حفل الختان بما كان عليه بمكة، فقد كان المختون يركب على حصان ومعه موكب يسير عبر الشوارع، وتقرع له الطبول، وتعلو الأناشيد حتى غروب الشمس، وفي ليلة الختان تجتمع النساء للرقص والغناء، ويلبسن اللباس الجميل.

الإحتفال بيوم الجمعة

يوم الجمعة يعد عيداً اسبوعياً، فهو خير أيام الأسبوع، يجتمع فيه المسلمون للإستماع في المسجد لخطبة الجمعة، وفي يوم الجمعة يلتقون ويتواصلون ويتراحمون فيما بينهم، وقد وردت أحاديث عديدة في فضل يوم الجمعة، والحث فيه على الغسل والتطييب والسواك ولبس أحسن الثياب، فالمسلمون يفرحون بالجمعة ويبخرون المساجد ويذكرون الله كثيراً. ولم تكن الجمعة معروفة عند العرب في الجاهلية بهذا الإسم بل كانت تسمى عُروبة، ولم يكن لها قيمة عندهم.

الولائم

بالعموم كانت للمسلمين ولائم عديدة تقام فيها احتفالات. منها: الإعذار للختان، والعقيقة للولادة وهي في اليوم السابع، والخُرس لسلامة المرأة من الطلق، والنقيعة لقدوم المسافر وهي مشتقة من النقع أي الغبار؛ والوكيرة للسكن المتجدد، مأخوذ من الوكر أي المأوى والمستقر. وهناك وليمة تحمل اسم الوضيمة لما يتخذ عند المصيبة، والمأدبة لما يتخذ بلا سبب. وهذه الولائم كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام، وقد ذكر جواد علي في (المفصل) أن العرب كانت لديهم ست عشرة وليمة.



عريس من مكة يجلس في الركاح

الإحتفالات في العصرين الأموي والعباسي

استحدثت في العهدين العباسي والأموي صور من الإحتفالات، منها خروج الناس لاستقبال الخليفة عند قدومه للحج، وهو يمثل جزءً من إعلان الولاء، ناهيك أن الخلفاء كانوا يأتون بالعطايا والهبات عند قدومهم الأماكن المقدسة. ويلاحظ في العصر الأموي التوسع في الإحتفالات الغنائية بمكة والمدينة، وظهر بشكل لافت مقارنة بالعهد النبوي والعهد الراشدي. وقد ذكر العديد من الأدباء والمؤرخين أسماء المغنين والمغنيات في العصر الأموي، وأشاروا الى أن بعض الخلفاء كعمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبدالملك كانوا يأمرون بنفي المغنين وتغريبهم وسجنهم، في دلالة أن الأمر كان موجوداً عند المترفين من القوم. وفي العموم استمرت الاحتفالات الأخرى في العرس والختان وغيرها ولكن بعض أثرياء أهل المدينة أضفوا عليها طابع الإسراف والتبذير.

وفي العهد الأموي أيضاً، كان وادي العقيق الذي يتمتع بطيب الهواء وجودة المياه مكاناً للتنزه لدى بعض أهل المدينة، واتخذ مكاناً للسمر وسماع الشعر والغناء والإحتفالات. وقد أشارت دراسات عديدة الى مظاهر الترف في الإحتفالات في ذلك العهد. لكن هناك مبالغات في قضية الإحتفالات والغزل والغناء سطرتها كتب الأدب، بناء على قراءة شعر ما لشاعر ماجن أو موقف سلبي لحالات شاذة ونادرة. وبالرغم من كل هذا، فمكة والمدينة ظلتا في العصر الأموي مصدر إشعاع ديني، وكان بها مئات الفقهاء والعلماء وطلاب العلم.

غير أن الحجاز كان في العصر العباسي متوتراً، حيث حدثت عدة صراعات سياسية وعسكرية، وثورات محلية، وحركات الأعراب، فأحدثت اضطرابات أمنية أثرت على الوضع الإقتصادي وحلت المجاعات والقحط الشديد، فتغيرت أوضاع الناس، ولم تكن الإحتفالات في ذلك العصر تقارن بما كانت عليه في العصر الأموي.

الإحتفالات في العصر الفاطمي

ظهرت في العهد الفاطمي أعياد جديدة، واحتفالات متنوعة لم تكن موجودة سابقاً، مثل: عيد المولد النبوي، وعيد مولد السيدة زينب، ومولد السيدة خديجة، ومولد السيدة آمنة، والإحتفال بيوم عاشوراء، والإحتفال بآخر أربعاء من صفر. وهذه الأعياد يرجع سببها الى التشييع كما يقول المرحوم أحمد السباعي. وكذلك الحال بالمدينة، فقد ظهرت فيها احتفالات دينية مبتدعة عندما كانت تحت الحكم الفاطمي.

الاحتفال بقدوم بعض الشهور

كان أهل مكة والمدينة يحتفلون بقدوم بعض الشهور، ومن ذلك شهر رمضان. وقد رصدت كتب الرحلات كيفية احتفالات المكيين بقدوم الشهر، حيث وصف ابن جبير الذي عاصر أواخر العهد الفاطمي، احتفالات أهل مكة بقدوم شهر رمضان عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، فذكر أن الشموع والقناديل تضاء وتدق الدبادب إيذاناً بدخول الشهر، وتضرب الفرقعات عند الفراغ من آذان المغرب والعشاء، وتضرب الفرقعات للسحور، وتوضع على المآذن قناديل، تطفأ إذا حان وقت الإمساك. ويجتمع الناس لأداء التراويح في جماعات مختلفة، حسب المذاهب الفقهية. ووصف ابن جبير حال المقامات في صلاة التراويح برمضان، وذكر أن كل إمام كان يصلي بجماعته عشرين ركعة، أما إمام الشافعية فكان له وضع خاص، فإنه كان يطوف حول الكعبة سبعة أشواط قبل البدء في أداء صلاة التراويح، وبعد فراغه من الطواف تضرب الفرقعة إيذاناً ببدء الصلاة، ثم يصلي ركعتين ويطوف بعدها سبعاً وهكذا الى أن يتم عشرين ركعة، ثم يصلي الشفع والوتر.

والإحتفال برمضان استمر الى العهد المملوكي، فقد وصف الرحالة ابن

بطوطة احتفالات أهل مكة بقدوم رمضان، حيث كانوا يستقبلونه بالطبول والدبابات ووصف كيفية صلاة التراويح وختم القرآن على نحو ما وصفه ابن جبير.

كما ذكر ابن فرحون (٦٩٣-٧٦٩هـ/ ١٢٩٣-١٣٦٧م) المعاصر للعهد المملوكي احتفالات أهل المدينة بقدوم رمضان، وكان ممن حضرها وأنكرها، إذ قال: (إني أدركت قراء الإمامية - إحدى فرق الشيعة - وأئمتها إذا دخل شهر رمضان، وأخذوا من القبة شمعاً وشمعدانات على عددهم ينصبونها بعد صلاة العشاء الآخرة في مجالسهم ويدعون في كتبهم ويرفعون أصواتهم حول الروضة والناس في الصلاة لا يعلمون صلاتهم من رفع أصواتهم، ولا يسمعون قراءة إمامهم لكثرة قرّائهم، ويجتمع عليهم من الناس خلق كثير، ويتخللون تلك الأدعية بسجدات لهم مؤقتة، ولم يزالوا كذلك الى أن اجتمعت الكلمة، وظهر الحق، فمنعوا من ذلك إلا في بيوتهم ومجالسهم، فانحسمت المادة وزالت تلك العادة).

الإحتفال بختم القرآن

من الإحتفالات المشهورة بمكة والمدينة والتي ترتبط بشهر رمضان: ختم القرآن. فقد ذكر الفاكهي أن أهل مكة كانوا يحتفلون بختم القرآن، لكن هذا الإحتفال بالختمة لم يكن مستمراً فقد كان يترك زماناً، ثم يعاود مرة أخرى. لكن الإحتفال بالختمة استمر عدة عصور عند المكيين، ولايزال حتى الوقت الحاضر، وقد شاهده ابن جبير ووصفه في رحلته أواخر القرن السادس الهجري، حيث ذكر أن كل إمام من أئمة المذاهب الأربعة كان يصلي بجماعته في المسجد الحرام، ويقرأ في كل ليلة جزءاً من القرآن. وأول من يختم القرآن من الأئمة الإمام الشافعي وذلك في ليلة سبع وعشرين، ويتم إقامة حفل لذلك، وتبدأ الإستعدادات لإقامة ذلك الحفل قبل يومين، بحيث تنشر المشاعل والشموع في أرجاء الحرم. وفي تلك الليلة يتقدم الإمام الشافعي فيصلي العشاء الآخرة ثم يصلي التراويح... وفي تلك الساعة كان جميع الأئمة يتوقفون عن الصلاة تعظيماً لختمة المقام ويحضرونها متبركين، فيختم الإمام الشافعي في تسليمتين، ثم يقوم خطيباً مستقبلاً المقام والكعبة المشرفة، فإذا فرغ من ذلك عاد بقية الأئمة الى صلاتهم وانفض الجمع. أما ختم بقية الأئمة فيكون عادة ليلة التاسع والعشرين من رمضان، ويلقي كل منهم عند الختم خطبة، ويكون أول المختتمين في هذه الليلة الإمام المالكي، ثم يقام احتفال أقل من احتفال الشافعية، ثم يتلوه بقية الأئمة.

ولم يختلف الإحتفال بختم القرآن في المدينة عما كان عليه بمكة، فقد وصف النابلسي في رحلته عام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م، أن أهل المدينة كانوا يحتفلون بختم القرآن، إذ كان ممن دُعي وحضر ذلك الحفل، فوصف مهابته وذكر أن الشافعية يختتمون قبل غيرهم ثم المالكية، وأن السادة العلماء والقضاة والمفتون يحضرون حفل الختم، ثم ذكر أن الناس كانوا يحتفلون بوداع الشهر بإنشاد القصائد النبوية المشتملة على مديح النبي صلى الله عليه وسلم، فيضجّ المجلس بالخشوع والبكاء، وتوقد المشاعل والشموع الكثيرة خاصة بالروضة الشريفة، وتنتشر مباخر الطيب بالعنبر والعود.

أما البتنوني فأشار في رحلته للمدينة سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، مظاهر الإحتفال بختم القرآن، وقال: (بعد ختم التراويح تخرج الشمعدانات الذهبية والفضية من خزائن الحجرة الشريفة، ويقيمون حفلاً كبيراً يحضره الأمراء والأعيان).

وهناك ختم آخر للقرآن، يقام له احتفال معين، وهو خاص بالأسر التي ينتهي أبناؤها من حفظ القرآن، فقد كان من عادة أهل مكة والمدينة الإحتفال بختمة المصحف للولد أو البنت. فإذا أكمل الولد أو البنت ختم القرآن تقام له حفلة يحضرها المعلم الدي علمه القرآن مع الأهل والأقارب. ويقوم الطفل بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم في الحفل، ثم توزع الحلوى، ويتناول الجميع الطعام، ويسمى هذا الإحتفال (الإقلابة). أما اذا اتم الطفل جزءاً معيناً من القرآن، فإن أهله يقومون بعمل حفلة صغيرة أيضاً تسمى (الأصرافة) ولايزال هذا الأمر معمولاً به.

ويختلف مظهر الإحتفال بختمة المصحف باختلاف الطبقات. فالأثرياء والأغنياء يبالغون في الحفل إذا أتم أولادهم ختم المصحف. أما العلماء والقضاة وأئمة المقامات فيحصل بينهم تنافس في تحفيظ أبنائهم القرآن، ليحصل لهم شرف الإمامة، فعندما يختمون يقوم الأبناء بقراءة ذلك في صلاة التراويح بالمسجد الحرام بمكة، ويصلي الواحد منهم أحياناً بدلاً من الإمام في مقام أحد الأئمة. ويحدث ذلك أيضاً بالمدينة، فقد ذكر عطية سالم أن الغلام الذي يُتم ختم القرآن يذهب به أهله الى الحرم، في رمضان ليصلي التراويح ببعض الناس من أهله وجماعته ومعه شيخه الذي حفظه القرآن، وبعد الإنتهاء من ختمه يقوم والد الغلام بإقامة حفلة توزع فيها الهدايا الثمينة



احتفال مكي في حارة الشامية عام ١٩٠٧

للشيخ، والطعام والحلويات للحاضرين، ثم يُلبس الغلام حلة وعمامة تُشعر أنه ختم القرآن، وهذا العمل لازال معمولاً به الى الوقت المعاصر.

الإحتفال بشهر رجب

من الإحتفالات المشهورة بمكة والمدينة الإحتفال بشهر رجب، فقد نقل لنا ابن جبير، وصفاً دقيقاً لاحتفالات المكيين في عهد الأمير الشريف مكثر بن عيسى (تولى إمارة مكة من ٥٧١-٥٩٧هـ/ ١١٧٥-١٢٠٠م) فذكر أن أهل مكة كانوا يحتفلون بقدوم شهر رجب، ويبدأون ذلك بالعمرة، فتخرج النساء بالهوادج الى التنعيم ميقات المعتمرين، وتكون هذه الهوادج مزينة ومزركشة بالألوان الجميلة والحرير الذي ينساب عليها حتى يصل الى الأرض، وينسحب عليها انسحاباً وتقود الشموع. ويخرج أمير مكة في صباح أول يوم من رجب للعمرة في حشد عظيم، ويخرج المعتمرون قبيلة قبيلة، وحارة حارة، فرساناً ورجالاً، يتواثبون ويتثقفون بالأسلحة حراباً وسيوفاً في حذق عجيب، وكانوا يرمون السيوف في الهواء ثم يتلقونها قبضاً على قوائمها، كأنها لم تفارق أيديهم. فإذا عاد الأمير من العمرة هرع الى المسجد وشرع يطوف في حشده العظيم، ثم يطوف الناس، ويزدحم الحرم في مرأى عجيب لا مثيل له، كما يقول ابن جبير.

وكانت الطبول تقرع عند ثبوت دخول شهر رجب، وتطلق الأبواق، وتنشد القصائد الشعرية في ليلة الموسم، ويحتفل الناس ويتصافحون ويتسامحون ويلبسون أفخر الثياب. وبالجملة كما يقول ابن جبير: هذا الشهر يكون معموراً بالعبادات من العمر وسواها، ويختص أوله ونصفه من ذلك بحظ متمين، وكذلك اليوم السابع والعشرون من رجب ٥٧٩هـ. واستمرت هذه الإحتفالات في العهد المملوكي كما يتوضح من وصف مشابه لابن بطوطة. وفي شهر رجب كان يكثر الخير وترخص الأسعار بمكة، لأن العديد من القبائل المجاورة كانت تأتي للعمرة ومعها الحبوب والسمن والعسل والزيت واللوز والزبيب خاصة قبائل زهران.

واستمر الإحتفال بالرجبية عصوراً متعددة، فقد صور لنا المستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه الذي زار مكة في ١٢٩١-١٢٩٢هـ/ ١٨٨٤-

١٨٨٥م، احتفالات المكيين بالرجبية فذكر أنهم كانوا يؤدون العمرة في يوم ٢٧ رجب، وأنه منذ ظهر يوم ٢٦ تطلق المدافع طلقاتها وتبدأ الإحتفالات التي تركز على سرد قصة الإسراء والمعراج وتوزع الحلوى والأطعمة. وذكر سنوك أن أهل المدينة يفعلون ما يفعله أهل مكة، إلا أن لديهم عادة غريبة في أثناء قراءة المعراج وهي أن الخطيب أو القارئ اذا انتهى من خطبته انهال عليه البدو ومزقوا جبته الى قطع صغيرة، وأن أكثر سعادتهم كانت تكمن في الإحتفاظ بتلك القطع لا ستخدامها في التعاويذ او كتمائم.

وسبب اختيار أهل مكة شهر رجب للإكثار من العمرة محل خلاف بين المؤرخين والمعاصرين، بعضهم يرى أنه يرتبط بحادثة الإسراء والمعراج وقد وقعت في ٢٧ رجب. وبعض آخر يقول أن العادة تعود لأن عبدالله الزبير اعتمر يوم ٢٧ رجب بعد أن انتهى من بناء البيت، فيما قال آخرون أن المسألة تعود الى الأحاديث التي تؤكد على فضل العمرة بالعموم، وأن هناك فضائل لشهر رجب، كما أن إحدى عمرات الرسول قد تمت في رجب، وقد روي أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يعتمرون في رجب فاعتاد الناس ذلك.

في المدينة سجل بعض الباحثين والرحالة أنه في بداية القرن الرابع عشر الهجري في العهد العثماني كانوا يقيمون في رجب احتفالات بينها أنهم كانوا يقيمون مولداً على قبر سيدنا حمزة في أول رجب، وأنه يكثر الزوار للمدينة من القرى المجاورة فتذبح الذبائح للضيوف وأرباب الطرق الصوفية وتزار المقابر. وقال كاتب متأخر أن اهل المدينة شيبة وشباناً ونساءً وأطفالاً كانوا يجتمعون الى سفح جبل أحد بمنطقة الشهداء حتى يصبح المكان أشبه بيوم عرفة، ويحدث في ذلك اليوم الفسحة والسرور والتوسع في المآكل والمشارب وتطلق فيه الطلقات النارية.

الإحتفال بشهر شعبان

كانت هناك احتفالات بشهر شعبان، خاصة ليلة النصف منه، وصور ابن جبير احتفالات أهل مكة ليلة النصف من شعبان فقال أنه إذا دخلت هذه الليلة ازدحم الحرم بالناس وهم يهللون ويكبرون، خاصة عند بئر زمزم لاعتقادهم أنه في تلك الليلة تفيض بئر زمزم فيأتون يتباركون بها، ويتفاذفون بمائها، ويحدث الصراخ والبكاء عند النساء ويكثر التهليل، فينشغل الناس بهم فلا يتم لهم طواف ولا تحدث لهم في الصلاة خشوع. وذكر ابن جبير أنه بعد صلاة العشاء يصلي بعض الناس جماعات كصلاة التراويح يصلون ويقرأون بفاتحة الكتاب ثم (قل هو الله أحد) عشر مرات في كل ركعة، ويصلون مائة ركعة بخمسين تسليمة، ويحصل خلالها إشعال المشاعل والشموع، وهناك من الناس من يصلي بجوار الحجر الأسود، وأناس يقومون بالإعتمار أو الطواف. وقد استمر الإحتفال بليلة النصف من شعبان حتى احتلال الحجاز على يد السعوديين.

الإحتفال بشهر شوال

كان أهل مكة يحتفلون بقدوم شهر شوال، في أوله عيد الفطر، وابن جبير يصف الإحتفال بذلك فيقول أن الشموع والمشاعل تضاء منذ ليلة العيد على منائر الحرم وأسطحه، ويكثر التهليل والتسبيح والتكبير في تلك الليلة. وفي الصباح يجتمع الناس بالحرم وهم يرتدون أجمل الثياب، يتقدمهم الشيبيون، سدنة الكعبة، ليفتحوا الكعبة. ثم يأتي الأمير فيستقبلوه ويطوف سبعاً ثم يعود ويجلس مع حاشيته في موقف مهيب، ثم ينشد الشعراء أعذب الكلمات بتلك المناسبة، بعد ذلك يأتي الخطيب لابساً ثياباً سوداء فيرقى المنبر، وبعد أداء الصلاة يخطب خطبة بليغة ثم يخرج الناس مسرورين مستبشرين مستغفرين فرحين، ويذهب بعضهم الى مقبرة المعلاة لزيارة الأموات والدعاء لهم.

وفي العموم، بعض الإحتفالات هذه مازالت مستمرة بمكة والمدينة منذ العهد الفاطمي والأيوبي والمملوكي، وكانت هناك محاولات من المماليك لإلغاء بعض الإحتفالات خاصة التي جاءت عن طريق الفاطميين، فقضوا على بعضها. في المسجد النبوي، وفي عهد آل سنان الحسينيين الشيعة الإماميين، ألغى المماليك احتفالات دينية كصلاة الرغائب في رجب، وصلاة النصف من شعبان، وغيرها من البدع التي أقاموها كالمبالغة في زينة المسجد، وكثرة الوقيد (المشاعل) وكثرة اختلاط النساء بالرجال في المناسبات الدينية، ومع ذلك لم يخل عهد المماليك من بعض البدع أيضاً.

الإحتفالات في العصر العثماني

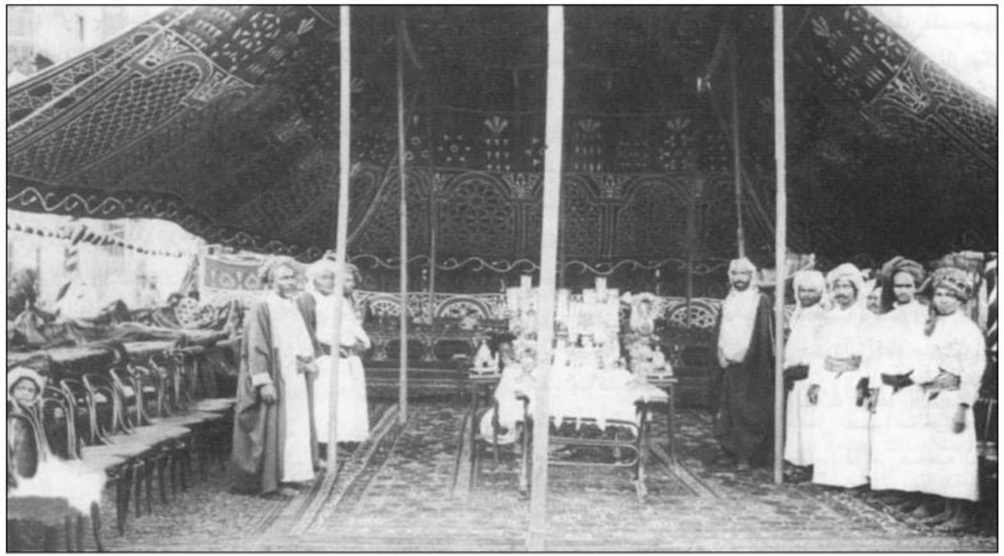
العهد العثماني كان امتداداً للعهد المملوكي في مظاهر الإحتفالات، فقد رصدت إحدى الدراسات أبرز الإحتفالات التي قامت بمكة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فذكرت أن بعض أهل مكة كانوا يحتفلون بأول سبت في شهر ذي القعدة، ويذهبون الى مسجد الخيف منذ يوم الجمعة، ويكثر في هذا اليوم الإختلاط بين الرجال والنساء، وقد أنكر عليهم هذه العادة السيئة بعض العلماء والفقهاء. كما كان هناك احتفال يقيمه بعض الناس في آخر شهر ذي القعدة بإقامة الصلاة والذكر بعد العشاء لإحياء تلك الليلة، فكانوا يكثرون من الأدعية، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وتؤكد الدراسة أن تلك البدعة كانت قد انتقلت من مصر في العهد المملوكي. كما كان الناس يحتفلون في ليلة التاسع والعشرين من شهر الحج إذ يذهبون الى غار حراء، ويتعبدون فيه، ويبيتون حتى الصباح، ثم يذهبون الى التنعيم للإحرام، ثم ينطلقون لأداء العمرة.

أشار الرحالة سنوك الى بعض احتفالات أهل مكة التي كانت قائمة في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي (أي العهد العثماني) والتي شاهدها عن كثب: منها الإحتفال بذكرى السيدة ميمونة رضي الله عنها، وهي إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أن بعض العامة كانوا يجتمعون في اليوم الثاني عشر من صفر عند قبر (ستنا ميمونة) ويحضرون معهم المأكولات ويلبسون العمامة بدلاً من الكوفية والعقال، وينصبون الخيام بجوار القبر، ويصطحبون معهم الآلات الموسيقية وأحياناً يسردون القصص والأغاني الشعبية. وبعد العودة من قبر السيدة ميمونة، ينطلق الناس لاحتفال آخر بالشهداء (أحد أحياء مكة) فيقيمون احتفالاً بقرب قبر الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنه كما يعتقدون، ويستمر الحفل لمدة أسبوع، حيث يقوم أحد القراء بذكر سيرة هذا الصحابي بصوت جميل معدداً مناقبه ومزاياه.

وأشار سنوك أيضاً الى احتفالات غريبة كانت تقام عند قبر السيدة خديجة رضي الله عنها، وكذلك عند قبر السيدة آمنة أم النبي، حيث يأتي الناس في اليوم الحادي عشر من كل شهر لزيارة ضريح السيدة خديجة بمقبرة المعلاة، وفي اليوم التالي يخصص لزيارة قبر آمنة المزعوم. وقد كان الناس خاصة النساء يحضرون معهم البخور والشموع وينذرون النذور على قبريهما.

العهد العثماني بالعموم يعتبر عهد رخاء وهناءة عيش، فعاد المكيون الى التنعم والإسراف في الحفلات على ما كان عليه الأمر في عهد الأمويين. فكانوا يخرجون الى ضواحي مكة كوادي فاطمة ووادي فخ ووادي الشهداء لإقامة المناسبات والحفلات حيث تقدم فيها الأطعمة الشهية، وتقام فيها الحفلات الغنائية المؤنسة، فيأتي أصحاب الوتر والمطربون لإحياء تلك الليالي، ويكثر اللعب والترويح والإنبساط، خاصة عند العامة الذين يستكثرون من المناسبات ليحتفلوا بها في صخب ومرح. فقد كانوا يحتفلون بأول السنة الهجرية، وبآخر أربعاء في صفر، وبمولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول. كما كانوا يحتفلون بدخول رجب وخروج شعبان (الشعبانية)، وجميع ليالي رمضان وبخاصة أواخره. وفي شوال تدق طبولهم ويرقصون بالعصي الغليظة، كل حي يتحدى الآخر، فإذا أمعن الحماس، اشتبكت الأيدي وقرعت الرؤوس وتكسرت العظام.

وفي المدينة كان بعض العوام يقيمون مولداً في شهر صفر على قبر العريضي شقيق محمد ذي النفس الزكية، الذي يقع شرق المدينة. وذكر أحد الدارسين أن الذي ساعد على تعميق هذه الإحتفالات في انفس الناس خلال القرون المتأخرة هو دعم الدولة العثمانية لهذه الأماكن والمبالغة في الإهتمام



احتفال مكي في حارة النقا عام ١٩١٦

بها. فعلى سبيل المثال، أمرت الدولة العثمانية ببناء قبة من حجر الشميسي على قبر السيدة خديجة رضي الله عنها، سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٣٤م، كما كانت ترسل كسوة لضريحها.

الإحتفال بالمحمل

من احتفالات أهل مكة والمدينة التي ظهرت في العهدين المملوكي والعثماني: حفلة المحمل. فقد كانوا يحتفلون بالمحمل القادم للحج، وأشهرها: المحمل الشامي، والمصري، والعراقي، واليمني. والمحمل عبارة عن قافلة كبيرة محملة بالحجاج والأزواد والبضائع والخيرات والصدقات، يتقدمها جمل عظيم عليه المحمل، وهو كالهودج، مصنوع من الخشب ومزين بأحلى الزينة، ويقود هذا المحمل أمير أو قائد عسكري. قيل إن أول ظهور المحمل كان عام ٦٤٥هـ/ ١٢٤٨م، في بدايات العهد المملوكي. وهذا المحمل له تقاليد وأعراف، فإذا وصل قوبل بالإحتفالات وعزفت الموسيقى، ويزف الى أن يصل مكانه وينظم له حفل مماثل عند وداعه أيضاً. وكذلك كان الأمر بالمدينة. والمحمل كان يأخذ صفة رسمية، إذ كان يحمل معه المراسيم السلطانية التي تحمل تعيينات وأوامر جديدة في المناصب. لذا يستقبله شريف مكة وخواصه والقضاة والفقهاء والعلماء والأعيان وغيرهم، ويقومون بعرضة عظيمه أمامه، فيها خيول كثيرة، ويقومون بالمشي معه حتى مقر سكنه المعد، ثم يخلع على شريف مكة ومن بصحبته. كما كان يقام لهذا المحمل احتفال وداعي.

صوّر ابراهيم رفعت، وهو أحد المشاركين في المحمل، لحظة خروج المحمل من جدة ووصوله للمدينة سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، فذكر أن موظفي الحكومة الحجازية اصطفوا بأوسمتهم وملابسهم الرسمية، ثم أقبل الوالي، فتقدم أمير المحمل الشامي يقود زمام جمله وسلمه للوالي، فدار به خمس دورات ثم سلمه لأميره، بعد ذلك صدحت الموسيقى الشاهينية بسلام جلالة السلطان، وهتف العسكر والحضور بالدعاء له ثلاثاً، ثم تقدم أمير المحمل المصري، وفعل به كسالفه، ثم ألقيت خطبة دعي فيها لجلالة السلطان ودولتي الشريف والوالي وختمهما بالدعاء للجناب الخديوي، وعقب ذلك انصرف المحمل. وعندما يصل هذا المحمل الى المدينة كان يجرى له احتفال رسمي آخر، فيستقبله محافظ المدينة وشيخ الحرم والأعيان. فإذا أناخوا الجمل، وحط المحمل رحاله، دخلوا لزيارة المسجد، ثم تُقام الولائم. وأحياناً كانت تطلق المدافع ٢١ طلقة عند وصول المحمل.

الإحتفال بالركب

الركب المكي كان حتى عهد قريب يشكل تقليداً اجتماعياً مميزاً بين المدينتين المقدستين مكة والمدينة. يبدأ من مكة خلال شهري ربيع الأول ورجب، يتجه فيهما أفراد الركب، على ظهور الحمير الى المدينة المنورة بعد الإعداد للرحلة، يرافقهم المزهدون بأهزاجهم في مظهر احتفالي بهيج، حيث يتم تزيين الدواب بالقلائد والأقمشة الملونة.

يُحتفل في ليلة مغادرة الركب بالإنشاد والولائم بقيادة الركب إعداداً للمغادرة. وفي صبيحة اليوم التالي يأمر الشيخ بالرحيل، فيبادر الركب بالإنشاد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أمام الجموع المودعة، متوجهين الى وادي فاطمة، فالقضيمة، ومنها الى المدينة، سالكين طريق الهجرة ما أمكن. وكانت الإحتفالات تقام على طول الطريق في المنازل التي يمر بها الركب حتى وصوله الى عروة، ومنها الى قباء حتى الدخول من باب العنبرية، ثم يستقبل أهالي المدينة الركب المكي عند باب السلام بالإنشاد والترحيب في احتفال مهيب.

ومن احتفالات أهل الحجاز خاصة بالمدينة، الإحتفال بقدوم الركب من الحج. والركب: عبارة عن مجموعة من أهل المدينة، يعزمون على الحج، ويقومون بالتخطيط لهذا الأمر وتوزيع الأدوار بينهم، ثم يؤدون الحج ويعودون الى المدينة، فيستقبلهم الناس، وقد كان الناس بالمدينة، فيستقبلهم الناس، وقد كان الناس بالمدينة يستقبلون الركب القادم من الحج، ويقيمون الإحتفالات لسلامتهم وقد ظهر هذا منذ زمن مبكر، واستمر الى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي. كانوا يسمون القادم من الحج للمرة الأولى (صرارة) فيتم الإحتفال به على طريقة مميزة، حيث يركب الحاج على ناقة أو فرس مزينة، ويطاف به المدينة، وتقوم النساء برمي الحلوى عليه، ثم يصل

منزله وتقام حفلة خاصة لهذه المناسبة، وأحياناً تعزف الموسيقى. وبالعموم، فقد كان أهل المدينة يستقبلون الركب القادم من الحج بفرح وبهجة وسرور، وتقام الإحتفالات الكبيرة بهذه المناسبة. ويرى بعض الباحثين أن حفلة الصرارة، أو السرارة، كانت تتم عادة للطفل القادم من الحج.

الإحتفال بمولد النبي

الإحتفال بالمولد النبوي في مكة والمدينة يعد أبرز الإحتفالات منذ العهد الفاطمي الى العهد العثماني، وكان يقام عادة في يوم ١٢ ربيع الأول، وتقام فيه الخطب والمواعظ، وتقدم فيه الأطعمة والحلوى. والمصادر المكية تسمي حفلة المولد بزفة المولد أحياناً. ومكان المولد يقصد به المكان الذي ولد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقع حالياً في موضع مكتبة مكة المكرمة، وكان في يد عقيل بن أبي طالب ثم صار في يد ولده ثم باعوه الى محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، ثم جعلته الخيزران أم هارون الرشيد مسجداً يصلى فيه بزقاق المولد. أما زفة المولد فيقصد بها حضور الناس الى مكان المولد بعد صلاة المغرب، يتقدمهم قاضي قضاة الشافعية، والقضاة الثلاثة وبعض الفقهاء وبعض الأعيان، وتقام خطبة في هذا المكان، ثم ينطلقون حاملين معهم الفوانيس والشموع، حتى يصلوا الى الحرم، ثم يقيموا صلاة العشاء ثم ينصرفوا.

كانت هناك صور عديدة لمظاهر الإحتفال بالمولد النبوي، خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. فقد وصف العز بن فهد بعض احتفالات المولد في سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وذكر أن السماط الذي فرش للناس وحضره القضاة وجمع من الفقهاء، كان يحتوي على أطعمة شهية كالمبشورات والضلوع المشوية، والرز العزيزي والمامونية الحموية. كما ذكر العز بن فهد نوع الحلوى التي قدمت في حفلة مولد سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م، كالمشبك والفتوت، وقد كان أهل مكة يستغلون حفلة المولد في إقامة مناسبات أخرى تبركاً، مثل الختان وعقد النكاح والزواج.

ظاهرة الإحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تأخذ طابعاً رسمياً، فقد كان شريف مكة يصدر أوامره لحاكم مكة بأن يأمر القضاة والفقهاء بإقامة احتفال المولد، ومحاسبة كل من لم يحضر أو يتخلف عنه، وكان بعض الفقهاء والعلماء والقضاة يخالفون أمر الشريف وينكرون ذلك الإحتفال، ويحذرون من زفة المولد ويعتبرونها بدعة.

صور سنوك طريقة احتفال أهل مكة بمولد النبي في سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م فقال: إنه في ظهر اليوم الحادي عشر من ربيع الأول، تطلق المدافع إعلاناً لهذه المناسبة، ويبدأ المدرسون بالحرم بقراءة قصة المولد بدلاً من إعطاء الدروس والمحاضرات. ومع صلاة المغرب من اليوم الثاني عشر يتجمع الناس بأعداد كبيرة، وتحضر النساء في أبهى زينة، معهن الحلي كأنهن في يوم العيد، ويلبس الأطفال الملابس الزاهية ويحضرون مع أمهاتهم، ويحدث صخب بالمسجد، وتمتلئ المحلات التجارية بالألعاب والحلوى، وبعد الإنتهاء من صلاة المغرب، تضاء المصابيح بأعداد كبيرة، ويبدأ الجمهور في تبادل التحايا بينهم. وفي الجهة الشمالية من الحرم يجلس الإمام على منصة خشبية وظهره الى الكعبة، مواجهاً الجمهور ليتلو قصة المولد، ويجلس في مكان الصدارة شريف مكة والوالي التركي مع حاشيتهما. ويبدو أن الناس كانوا لا يعون ما يقال بسبب الصخب، وبعد الإنتهاء من القراءة يحدث هرج كبير داخل المسجد، فالكل يريد أن يرى الشريف ورجال الحكومة الذين يحملون القناديل المضيئة ويمرون بها عبر أسواق القشاشية وسوق الليل الى بناية القبة في الشعب (شعب علي) حيث رأى الرسول الكريم النور لأول مرة. وأمام هذا الموكب كان يسير الريس وهو كبير المؤذنين، وفلكي المسجد الحرام، وتنشد الأناشيد في مدح الرسول الكريم، ويدخل هذا الحشد الى مكان المولد ويقرؤون شيئاً من سيرته العطرة، ثم تقام الصلاة جماعة، ويستغرق كل ذلك قرابة الساعتين من بعد الغروب، وخلال الليل تقام حفلات السمر، ويذهب الكثير من الناس الى المقاهي، في حين يقوم المتصوفة بتكوين حلقات يرددون فيها بصورة جماعية قصائد البردة والهمزية وأشعار المديح النبوي الأخرى.

يوم الكنيس

وهو من الإحتفالات التي كانت بالمدينة في العهد العثماني. فقد كان أهل المدينة يحتفلون بيوم الكنيس أو ليلة الكنيس أي كنس الحجرة النبوية. فقد وصف النابلسي في (رحلته) ما كان يحدث من احتفالات في ذلك اليوم، فذكر أنه في يوم ١٧/١١/١١٠٥هـ، ١٠/٧/١٦٩٤م، أن بعض أهل المدينة في ليلة الكنيس كانوا يجمعون الحب من القمح ويضعونه في خرقة بيضاء، ويذهبون به الى الحجرة الشريفة، وكانوا يعتقدون أن هذا الأمر يقضي عنهم الدين ببركة هذا المكان. وفي صبيحة ذلك اليوم كان أعيان وأكابر وغالب أهل المدينة يجتمعون في الحرم النبوي الشريف بعد صلاة الصبح، ينتظرون الكنيس، فيخرج الطواشي (الأغوات) خدام الحجرة الشريفة وخدام الحرم الشريف وينقلون المصاحف من الروضة الشريفة الى الحجرة المطهرة، ويرفعون البسط المفروشة، ثم يصعد شيخ الحرم مع جماعة الطواشية وقاضي المدينة الى سطح الحرم الشريف، ثم يبدؤون في كنس السطح والقبة والحجرة، وكانت هذه المكانس مذهبة وجميلة تصنع لهذه المناسبة التي تقام في أول شهر ذي القعدة من كل عام. وبعد إتمام الكنس يبدأ الناس الصياح بأعلى أصواتهم: العادة يا سادة، ثم يرمى لهم الكعك والأقراص فيلتقطونه فرحين مسرورين. ويعتبر ذلك اليوم عند أهل المدينة كيوم العيد يلبسون فيه أحسن ملابسهم، ويهنئون بعضهم بعضاً، وكان من عادة أهل المدينة في هذا اليوم وبعد



الاحتفال بالمحمل في شوارع مكة المكرمة

فراغهم من الكنس، أن يذهبوا الى الحدائق ويسرفوا في الأكل والمشارب، ويحصل لهم الإنشراح والإنبساط، ومعهم النساء والأطفال، ثم يخرج أصحاب الطرق الصوفية ويقومون بالذكر والتوحيد والمزاهر، ويجتمعون في مكان يقال له القرين وهو قريب من المدينة على نصف ساعة ثم يعودون في العشي.

غسل الكعبة

من الإحتفالات المكية عبر جل العصور، والتي لاتزال قائمة: غسيل الكعبة. حيث يكون هناك احتفال كبير يحضره الشريف والوالي وأعيان مكه. وصف البتنوني في رحلته حالة الغسل التي حضرها فذكر أن شريف مكة كان يدخل الكعبة ويصلي ركعتين ثم يؤتى له بجرادل الماء من عين زمزم، فيغسل أرضها بمقشات صغيرة من الخوص، ويسيل الماء من ثقب في عتبتها، ثم يغسلها بماء الورد، وبعد ذلك يضمخ أرضيتها وحوائطها بالخلوق وأنواع العطور والطيب كدهن الورد والمسك، وينتشر البخور بالند والعود. ثم يخرج الشريف ويقف على الباب، ويرمي بالمقشات الصغيرة التي كانت تستخدم في غسل الكعبة فيتزاحم عليه الناس ويتلقفونها وكأنها أثمن شيء في العالم، وكانوا يحتفظون بها على سبيل البركة.

السعوديّة تبحث عن دور مفقود

نزار عبود

أين السعودية اليوم من التطورات الإقليمية؟ هل لا تزال تمثّل ثقلاً في المنطقة بعد المتغيّرات المستجدّة خلال الأشهر القليلة الماضية؟ الجواب قد يكون سلبياً، وعرض بعض المعطيات داخل السعودية وخارجها يشير إلى أن الرياض تبحث عن دور وعن حلفاء جدد، ولا سيما أن العلاقة مع الحليف التاريخي، الولايات المتحدة، لم تعد، كما يبدو، على ما يرام.

الأشهر القليلة الماضية كانت كفيلة بإظهار انكفاء الدور السعودي الإقليمي بعد سلسلة من الإخفاقات في أكثر من ملف، إضافة إلى تراجع العلاقة بين الرياض وواشنطن، ما حتّم توجهاً سعودياً للحفاظ على ما بقي من المكانة، منها عرقلة مساعي الانفتاح الغربي على دول في المنطقة، وبالتحديد سوريا وإيران، والبدء في البحث عن حلفاء جدد مفترضين للتعويض عن التراجع في العلاقة مع الولايات المتحدة.

مؤشرات كثيرة في الآونة الأخيرة دلّت على هذا التوجّه السعودي، ولعل أبرزها الاتفاق العسكري مع روسيا، الذي وقّعه الأمين العام لمجلس الأمن القومي السعودي، بندر بن سلطان، الشهر الماضي. اتفاق راجت أنباء عن ربطه بالعلاقات بين موسكو وطهران، واعتباره (رشوة) سعوديّة لروسيًا للتخفيف من انفتاحها على إيران.

رغم نفي الرياض وموسكو للأنباء التي أوردتها حينها صحيفة (كومرسانت) الاقتصادية الروسية، إلا أن للخبر ما يبرره في ظل القلق السعودي من الصعود الإقليمي الإيراني. كما أن الغاية السعودية من الصفقة تتجاوز (الرشوة) لتدخل في إطار (تنويع مصادر التسلح)، كما قال بندر، أو تنويع الحلفاء، كما يوحي المسار السياسي في المنطقة.

ومع مرور نحو شهر على الاتفاقية العسكرية، إلا أن الكثير من بنودها بقي غامضاً. فلا موسكو ولا الرياض نشرتا تفاصيل الصفقة الموقّعة في ١٤ تموز الماضي، خلال زيارة بندر إلى روسيا، كما لم تعرف قيمتها. لكن بعض المصادر الروسية والأميركية، وكذلك السعودية، قدرتها بأكثر من أربعة مليارات دولار. وقالت مصادر على صلة وثيقة بالعائلة الحاكمة في الرياض، إن (طائرات عمودية للنقل العسكري، أم آي ـ ١٧، ومروحيات الشحن والقتال (أم آي ـ ٣٥) ستتصدر الاتفاقيات المرتقبة). وهناك اهتمام بشراء طائرات قتالية متطورة ودبابات من طراز (تي ـ ٩٠). وأبرزت تلك المصادر اهتمام بندر بشراء أنظمة الدفاع الجوي الحديثة، ولا سيما من الطرازين الأحدث، (سام ـ ٣٠٠(و(سام ـ ٤٠٠). علماً بأن أيران ستتلقى النظام الأول في أوائل العام المقبل.

ولذلك دلالة كبيرة في المعادلة الاستراتيجية في الشرق الأوسط، إذ إن أنظمة الدفاع الصاروخية الروسية هي التي ستحمي المنشآت النووية الإيرانية. وعندما تنتقل إلى دولة مرتبطة عضوياً بالمنظومة الدفاعية الأميركية، فإنها تسعى، سواء عن قصد أو حسن نية، إلى خرق أسرارها التقنية ونقلها إلى خصوم غربيين يدرّبون سلاح الطيران السعودي.

مثل هذا السيناريو له ما يبرره في التاريخ، ولا سيما أن بندر نفسه كان وراء صفقات الصواريخ البحرية الصينية (سيلكوورم) في منتصف ثمانينات القرن الماضي. وكانت تلك صدمة للأميركيين لأنها تمت من دون علمهم وبقيت سراً. وقتها، أبرمت السعودية صفقات مع الصين لحساب العراق بعلم أميركي، وفي الوقت نفسه حصلت على صواريخ صينية أخرى لنفسها ما أثار غضب واشنطن واللوبي الإسرائيلي. وكانت الرياض تلجأ في علاقتها مع الصين إلى شراء الأسلحة نفسها التي كانت تتم بين الصين وإيران وتحوّلها إلى العراق بسعر أعلى لتضعف إيران من جهة، وتقوّي نظام صدام حسين من جهة أخرى.

ويبدو اليوم أن السعودية تخوض سباقاً مع الزمن لإثبات فعالية دورها في المنطقة، وأنها تستطيع أداء أدوار كبيرة لحسابات إقليمية ودولية؛ فالرياض تشعر بانزعاج بالغ من أي حوار غربي مع إيران وسوريا، ناهيك عن القلق من التعاون العسكري بين طهران وموسكو. كذلك، تشعر المملكة أن أي فك لعزلة طهران ودمشق سيكون على حساب مكانتها الاستراتيجية في المنطقة وقد يهدد كيانها بالخطر. ورأى مصدر سعودي مقرّب من العائلة الحاكمة أن المملكة تحرص على بناء (علاقات عسكرية وسياسية كبيرة مع موسكو التي تؤدي دوراً مؤثراً في مجلس الأمن الدولي، فضلاً عن كونها المصدر الأساسي الخارجي للتسلح بالنسبة إلى سوريا وإيران).

ولم يعد سراً أن الرياض سعت بدأب لوقف محاولات فكّ العزلة على دمشق، الأمر الذي عبّر عنه وزير الخارجية الفرنسي برنار كوشنير صراحة، بعد الزيارة السريّة لوزير الخارجية السعودي سعود الفيصل وبندر بن سلطان إلى باريس قبل أيام من انعقاد قمّة الاتحاد من أجل المتوسط والقمّة التاريخية بين الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي ونظيره السوري بشار الأسد.

وتشير مصادر مطّلعة إلى أن الرجلين جاءا بهدف واحد هو (منع زيارة الرئيس السوري للعاصمة الفرنسية في ١١ تموز، عارضين توقيع صفقات اقتصادية ضخمة مع الشركات الفرنسية على جميع الصعد). لكن ساركوزي كفّ يد كوشنير



الحامي الأميركي أمام هجوم إقليمي

عن الملف السوري وواصل انفتاحه على دمشق وطهران، في تحوّل فرنسي أثار قشعريرة لدى رجال السياسة في الرياض.

المحاولات السعودية هذه، سواء مع موسكو أو باريس، ناتجة من إحساس الرياض بالتجاهل الأميركي لتوجّهاتها الإقليمية. ولم تجهد السعودية في إخفاء الانزعاج من البرودة الأميركية في التعاطي معها. وكان ذلك واضحاً في أكثر من موقف، فهي لم تستقبل الرئيس جورج بوش في أوائل أيار الماضي بالحفاوة التي كان يتوقعها بالرغم من الرقص معه بالسيف. كما إنها رفضت طلب الرئيس الأميركي بزيادة إنتاج النفط، إذ تعهّدت الرياض

بزيادة بمقدار مئتي ألف برميل يومياً فقط، بحجة أنها لا تمتلك طاقة إنتاج احتياطية، وأنها قادرة على تلبية طلبات السوق بكمية الإنتاج الحالية. وبدلاً من أن ينخفض سعر البرميل كما يتمنى الأميركيون، واصل صعوده مقترباً من حاجز الـ ١٥٠ دولاراً. آنذاك عبّر بوش عن سخطه بخطاب ألقاه في شرم الشيخ مغال في التأييد لإسرائيل، مضعفاً وضع حلفائه الإقليميين.

السعودية عادت بعد مغادرة بوش للمنطقة، وتعهدت في قمة الغذاء، التي عقدت في روما في حزيران الماضي، برفع إنتاج النفط إلى ٩.٧ ملايين برميل يومياً حتى يهبط سعر النفط. أي بزيادة نصف مليون برميل يومياً. كما قدمت ٥٠٠ مليون دولار لصندوق «أوبك» المخصص لإقراض الدول الفقيرة المتأثرة بارتفاع سعر الطاقة بفوائد ميسّرة.

وكان يمكن للرياض أن تقدم تلك التعهدات للرئيس الأميركي كهدية رمزية بمناسبة زيارته، إلا أنها لم تفعل وفضّلت القيام بمثل هذه المبادرة إفرادياً وفي إطار تجمّع عالمي. لكن مع ذلك فإن سعر النفط واصل ارتفاعه.

هبوط سعر النفط الحقيقي وقع مباشرة بعد الإعلان عن أن مساعد وزيرة الخارجية الأميركية، وليام بيرنز، سيزور فيينا من أجل الاجتماع بالمفاوض الإيراني سعيد جليلي حول البرنامج النووي. وترافق أيضاً مع حلّ مشكلة الأسرى اللبنانيين وعملية التهدئة في غزة واستئناف المفاوضات غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل في تركيا.

منذ ذلك الحين والانفراج في سوق الطاقة يتواصل بوتيرة شعرت بها كل العواصم، ولا سيما مع تزايد الحديث عن إمكان تحقيق انفراج دولي واسع يشمل كل المسارات في الشرق الأوسط ولا يهمل وضع الاقتصاد العالمي المهدد بأفدح الأضرار.

انفراجات تبدو السعودية بعيدة عنها تماماً، ولا سيما أن دورها في المنطقة تميّز بعدد من الإخفاقات بدأت باتفاق مكة الفلسطيني في شباط ٢٠٠٧، الذي لم يصمد أكثر من أربعة أشهر، مروراً بقمّة دمشق الأخيرة، التي لم تفلح جهود الرياض في إفشالها، حتى إن مقاطعتها لم تنسحب على سائر القادة الخليجيين الذين حضروا لتكريس الرئاسة السوريّة للقمة العربية، وصولاً إلى مؤتمر الدوحة اللبناني، الذي كان الدور السعودي فيه لا يتجاوز دور مشاهد نشرات الأخبار.

فالسعودية فشلت، بالرغم من استثمار مئات ملايين الدولارات في لبنان وفي قضايا إقليمية أخرى ذات صلة، في بلوغ تسوية مناسبة لسياستها وبما يرضي الراعي الأميركي. وكان الأميركيون طيلة هذه المدة يدفعون ثمناً باهظاً في اقتصادهم وسمعتهم على الساحة الاستراتيجية الدولية. معطيات يضاف إليها إحجام السعودية عن إقامة علاقات مع العراق، ساهمت في إغضاب واشنطن.

إزاء هذا التآكل السريع في العلاقات الأميركية ـــ السعودية، يبدو أن الرياض بدأت في إقامة استراتيجية إقليمية مستقلة تعيد الاعتبار إلى دورها الإقليمي. وبعض العارفين بالبيت السعودي يرون أن (الرياض أضحت في غاية التخبط بعد تلقي عدة انتكاسات لمصلحة خصومها الإقليميين). ويضيفون (صحيح أنها راكمت ثروات طائلة من عائدات النفط التي هطلت عليها في السنوات القليلة الماضية تؤهلها لأداء دور مؤثر على الساحة الدولية. لكن العاصمة السعودية لم تعتد الرقص السياسي المنفرد من قبل).

المعادلة الاستراتيجية اليوم جعلت الرياض معزولة سياسياً بالرغم من ثقلها النقدي الكبير. وتجلى ذلك بصورة واضحة عندما وقفت الولايات المتحدة في الأسابيع الماضية في وجه مشروع قرار سعودي في مجلس الأمن الدولي يندد بالاستيطان في فلسطين ويطالب بإيقافه. كان بوسع واشنطن الموافقة عليه، أو على الأقل إمراره بالامتناع عن التصويت، لأنه لا يخالف خريطة الطريق أو توصيات اللجنة الرباعية ولا حتى بيانات وزارة الخارجية الأميركية ذات الصلة. لكن امتعاض البيت الأبيض من خذلان الملك عبد الله للرئيس بوش، جعل الأميركيين، على ما يبدو، يلجأون إلى تحجيم الدور السعودي إلى أصغر ما يمكن.

ومع الاستهداف الأميركي للرياض، فإن السعودية تحاول البحث عن دور من خارج الفلك الأميركي. لكن لا يبدو أن محاولاتها تجد طريقها إلى النجاح، ولا سيما أن الحسابات الدولية في الأشهر القليلة الماضية، اختلفت كثيراً عما كانت عليه في السابق.

وإذا كانت الرياض تحاول شراء مواقف سياسية من باريس وموسكو في مقابل عقود تسلح وعقود بناء عملاقة لها ولشركائها في دول مجلس التعاون الخليجي، فإن تلك الدول باتت مقتنعة بأن ما تجنيه من علاقة مع لاعبين فاعلين في الشرق الأوسط أهم بكثير.

أما أوروبا والولايات المتحدة وآسيا فتدرك تماماً أن التوتر مع إيران وارتفاع سعر النفط بنتيجته بات يصيب الاقتصاد العالمي في مقتل. وخير مؤشر على ذلك هبوط أسعار المنازل في الولايات المتحدة بنحو ١٦ في المئة خلال أيار الماضي وحده، وما لذلك من تداعيات كارثية على أوضاع المصارف. فالصين تفقد بانهيار مصرفين متعثرين يعملان في مجال التسليف العقاري الأميركي، هما (فريدي ماك) و(فاني ميه)، ٤٠٠ مليار دولار. وتفقد روسيا فيهما نحو ١٠٠ مليار. واليابان ١٠٠ مليار. وتقدر خسائر الدول الخليجية بنحو ٢٠٠ مليار دولار. ولقد سجّلت أخيراً اتصالات بين الخزانة الأميركية وحكومات الدول الخليجية لطمأنتها بأن الولايات المتحدة لن تسمح بانهيار المصرفين اللذين يتوليان قروضاً عقارية بقيمة ١٢ تريليون دولار.

لكن الكل يشتم رائحة الدم الأميركي بنتيجة هذا النزف المالي والسياسي والعسكري الحاصل. وهناك من يشعر بأن الولايات المتحدة قد تضطر قريباً إلى العودة مكسورة من الشرق الأوسط على طريقة هزيمة فيتنام. تعود لتلعق جراحها، وكلها عتب وسخط على الحلفاء العرب الذين، بحسب رأيها، لم يساهموا جديّاً بدفع أجندتها، سواء في لبنان أو فلسطين أو العراق.

أمام هذا الواقع، يقول دبلوماسي في نيويورك إن (السعودية تعيش خوفاً وهمياً من احتمال تعرضها لهجوم إقليمي. وتشعر أن واشنطن لن تستطيع الوقوف إلى جانبها في زمن الشدة. وبالتالي فإنها تحاول من جهة إضعاف خصومها الوهميين، إيران وسوريا، ومن جهة أخرى تسعى إلى تنويع مصادر تسلحها وربما اللجوء إلى اقتناء أسلحة نووية سراً إن استطاعت).

وذكر الدبلوماسي بما ورد في تحليل الكاتب ريتشارد راسل عن امتلاك السعودية لقدرات نووية، وقال فيه (من غير المناسب للرياض الاعتماد بشكل أساسي في دفاعها على الولايات المتحدة وتنتظر



محاصرة الأسد فشلت

منها أن تهبّ لنجدتها في جميع الظروف... وطبقاً لوجهة النظر السعودية فإن امتلاك أسلحة نووية وأنظمة التوصيل الصاروخية يبدوان منطقيين وضروريين). ويرى أن هذه الأنظمة لن تكون على شكل سلاح الطيران الضعيف أمام شبكات الدفاع الأرضية. بل صواريخ باليستية على غرار (سي إس إس ٢).

إلى الآن لا يبدو أن السعودية استطاعت إيجاد دور بديل في المنطقة، حتى إن لجوءها إلى (مصالحة الأديان) خلال المؤتمر الذي دعا إليه الملك عبد الله في مدريد، لم يكن إلا في إطار السعي السعودي الحثيث للبحث عن دور ما في المنظومة الدولية الجديدة.

البحث لا يزال جارياً، والهدف لا يبدو سهل المنال، إلا في حال انتكاسة إقليمية كبيرة، تعيد للسعودية أهميتها الاستراتيجية. والانتكاسة لا يمكن أن تكون إلا على حساب أطراف إقليمية أخرى.

• عن الأخبار اللبنانية، ٢٠٠٨/٨/٤

وجوه حجازية

(١)
محمد عبدالباري رضوان
(١٢٩٥ ـ ١٣٥٨هـ)

ولد بالمدينة المنورة، واعتنى به والده فحفظ على يده القرآن الكريم وطلب العلم على يديه، فقرأ عليه الكتب الستة وموطأ مالك والفقه والتفسير واللغة والأصول وأجازه بمروياته. كما قرأ على السيد حسين الحبشي محمد علوي وسمع منه وأجازه بجميع مروياته من منقول ومعقول وفروع وأصول، وأيضاً أخذ عن الشيخ محمد سليمان حسب الله وحضر جميع دروسه التي كان يلقيها بالمدينة المنورة في كل سنة، وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وأجازه بجميع مروياته الشيخ عبدالله السكري الركابي، وتصدى للتدريس بالمسجد النبوي.

كانت دروسه في الفقه الشافعي والحديث. قدم مكة المكرمة سنة ١٣٣٥هـ وجاور بها. أختير عضواً برئاسة القضاء، فاعتذر وسافر الى الهند، ثم عاد الى مكة المكرمة ولازم المسجد الحرام لعبادة الله. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(١).

(٢)
عيسى بن محمد رواس
(١٢٩٥ ـ ١٣٦٥هـ)

ولد بمكة المكرمة، والتحق بالمدرسة الصولتية، حيث تلقى فيها علومه وتخرج منها. أخذ عن علماء المسجد الحرام، ومن بينهم الشيخ عبدالرحمن دهان، حيث لازم حضور دروسه وحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون واستظهر شروحها وحواشيها. جدّ واجتهد حتى أصبح أحد علماء مكة المكرمة وأحد المدرسين بمدرستي الصولتية والفلاح بمكة المكرمة.

لازم التدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه عدد كبير من العلماء، منهم: الشيخ محمد مرداد، والشيخ محمد دهان، والسيد علوي مالكي، والسيد محمد كتبي، والشيخ محمد نور سيف وغيرهم. كان رحمه الله متواضعاً، حيث اشتهر بذلك بين طلابه. كما اشتهر باخلاصه في التعليم وحرصه على نفع طلابه. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٢).

(٣)
أحمد بن حسن زهر الليالي
(١٣٠٥ ـ ١٣٦٨هـ)

ولد بمكة المكرمة ونشأ به، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ عبدالله حمدوه. سافر الى مصر سنة ١٣٢٤هـ، وأخذ القراءات والنحو عن الشيخ وهبه سرور، عاد بعدها الى مكة المكرمة فقرأ النحو على الشيخ عبدالله أبي الخير ودرّس بالمدرسة الراقية الهاشمية. ثم سافر الى مصر مرة أخرى، وأقام بالأزهر، ثم رحل منه الى الهند، فأقام في التعليم في مدرسة تعليم الدين برايفون، ثم رجع الى مكة المكرمة ودرّس في المدارس الأميرية، فمديراً للمدرسة المحمدية، فالمدرسة الخالدية سنة ١٣٥٨هـ. أخذ عنه أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي وأجازه سنة ١٣٦٨هـ(٣).

(١) عمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٢٨٩. ومحمود سعيد أبو سليمان، تشنيف الأسماع، ص ٣٦٢.

(٢) عمر عبد الجبار، سير وتراجم، ص ٢١٥. وعبدالوهاب ابو سليمان، في الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، ص ٣٤. وانظر محمد أبو بكر باسلامة، جريدة البلاد، ١٤٠٧/٩/١٦هـ.

(٣) أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، الدليل المشير الى فلك أسانيد الإتصال بالحبيب البشير، ص٢٦.

مملكة (مصيفة)!

يُنقل عن محمد حسنين هيكل، الصحافي والكاتب المصري المعروف، أنه جرجر ذات مرة في السنوات الأخيرة للقاء الملك (ولي العهد آنئذ) عبدالله بن عبد العزيز، وذلك في أحد أفخم أجنحة فنادق لندن. ربما كان المرحوم عبدالعزيز التويجري وراء تدبير ذلك اللقاء، خاصة وأنه ـ أي التويجري ـ أقنع هيكل بأن يكتب مقدمة كتابه عن الملك عبدالعزيز: (لسراة الليل هتف الصباح). المهم أن هيكل المعروف بعدائه لآل سعود ونظامهم منذ الخمسينيات الميلادية، دخل على ولي العهد في جناحه، وكان يلتف حوله جمهرة من الأمراء والمقتاتين على الشرهات الأميرية. وفي حركة واحدة بيده، انفضّ الجمع واختفى، عدا إثنين أو ثلاثة، فاستغرب هيكل من ذلك البروتوكول السعودي العجيب.

توقع هيكل أن يتحدث مع فطحل زمانه، وخطيب الخطباء، عن شؤون السياسة أو الفكر، أو يتحدث معه عن رؤاه للمستقبل. لكن الخيخة بادره بسؤال عجيب: كيف احتفظت برشاقتك رغم تقادم عمرك (طبعاً أنا أكتب هكذا، وإلا فالخيخة لا يعرف أن يقول هذا الكلام وإنما هذا هو المعنى). ثم تتالت الأسئلة الشخصية من هذا النوع، عمّا يأكل هيكل وما يشرب، وكيف ينام، وتأثير السجائر وما أشبه (عبدالله يدخن أيضاً وقد كان من قبل محشّشاً مثل خادم الحرمين السابق فهد!).

يقول هيكل، كما نُقل عنه، بأنه استسخف الأسئلة، ولكنه اضطر أن يجيب بأنه ينام مبكراً، ولا يأكل مثلهم صحون الرز العملاقة، ولا يستمتع بالخرفان، وأنه يأكل الخضروات والفواكه، وأنه يستخدم حمية فوق هذا، على أمل أن يصحو مبكراً ويباشر كتاباته وقراءاته!

وطال الحديث وهو في أكثره يدور حول مثل هذه الأمور التي تشغل بال الأمراء، ولم نأت هنا الى موضوع الجنس، الأثير لديهم، وملح موائدهم.

أمراء آل سعود لا يعكفون الليل يصلون، ولا يبدأ يومهم إلا في الظهر. وقد كان خادم الحرمين السابق يلعب الأتاري ـ قبل الجلطة ـ حتى الصباح، وأحياناً يطلب طعام الغذاء صباحاً، ثم ينام الى ما بعد الظهر، حتى أنه في إحدى المرات أخّر وزير الخارجية الأميركي ساعات وساعات، لأن أحداً لم يجرؤ على تنبيه جلالته. وهو نفس الأمر الذي حدث يوم احتل صدام الكويت، فحينها تم إيقاظ بوش (الأب) أما خادم الحرمين فلم يعرف بالموضوع إلا بعد الظهر. طبعاً لا تسل عن الصلاة، فهؤلاء لا يعرفون الله إلا إذا اضطروا أمام الكاميرا.

في الليل يبدأ عملهم كالخفافيش إن إرادوا. نايف ـ وزير الداخلية ـ نموذج لذلك. يبدأ عمله أحياناً الساعة العاشرة مساءً، وكان قبل ملاحقة الأمراض له، يمضي وقتاً في عمله وحتى مواعيده مع الآخرين حتى الساعة الثانية صباحاً، ثم يكمل الأمراء سهراتهم ولياليهم الملاح المليئة بالتديّن الفاحش الى حدّ الرهبنة!

والأمراء ـ أعاذنا الله وإياكم منهم ومن شرورهم ـ أقلّ من يصرف وقتاً للعمل. الخادم السابق لا يعمل في المجموع ثلاث ساعات يومياً. وترك أطناناً من القضايا قبل وفاته لا تنتظر سوى توقيعه ولكنه مشغول دائماً!! يذكرنا هذا بالسادات الذي حين جيئ له بالملفات في أول أيام رئاسته رماها بوجه من أتى بها متهماً الجمبع بأنهم يريدون قتله كما قتلوا عبدالناصر. فكانت النتيجة أن زوجته جيهات تقمصت سلطته وراحت تحل القضايا بالنيابة عنه كما هو معلوم وموثق!

والآن نحن في الصيف، وقد فرّ معظم الأمراء الصغار والكبار، التافهين والمهمين، ذكورهم وأناثهم، فرّوا الى الغرب أو المغرب ربما من الحرّ (قل جهنم أشدّ حرًا) وكأنهم يعملون مثل الكادحين في الشوارع والمزارع! أو ربما لأخذ أجازة، وكأنهم كانوا يعملون حقاً، فيما أمور الدولة سائبة بسبب إهمالهم وعجزهم وحتى قصورهم وهم الذين وصلوا الى حافة القبر (نقصد المسؤولين منهم).

الدولة في الصيف تغلق أبوابها. لا أحد يعمل. كانت الوزارات تنتقل لمصيف الطائف، والآن يبدو أنهم استغنوا عن ذلك أصلاً. الملك يحب كازبلانكا، وهو لازال هناك. وسلطان أيضاً. فيما نايف يحب صاحبه زين العابدين بن علي فيمضي وقتاً طويلاً في تونس. كثير منهم جاؤوا الى جنيف، فهي مزدحمة. ولكن بعض أمزجة الأمراء فضلت الحبشة (لا ندري لماذا؟) وبعضهم كان في الماضي يفضل الباكستان ليستمتع بصيد الصقور قبل أن تظهر الطالبان والقاعدة. أمريكا غير محبوبة كثيراً، فهناك من يتصيدهم ويرفع عليهم دعاوى.

المهم البلاد متوقفة في الصيف أكثر من أي وقت. الحكومة تمشي بالبركة، والآن تسيّر بالدعاء من قصور الأمراء في كازبلانكا التي لا تخلو من مسجد يؤمه الخدم والمستضعفين. كازبلانكا التي من فضائلها أنها تشهد طائرات تقلع الى الرياض وتعود في اليوم التالي محملة بحليب النوق، وكانت في عهد الخادم فهد السابق تحمل فواكه بساتينه في المغرب لتوزع على فقراء الأمراء في الرياض!

مملكة كل أيامها صيف، وكلّ مسؤوليها الكبار عجزة لا يغادرون الفراش لأسباب عديدة!



هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات






Adobe PDF

أرشيف المجلة

إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعةَ الحروب تثأر لنفسها في حكومةَ السنيورة

من يرقّب ملامح وجه وزير الخارجيةَ السعوديَ الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبةَ البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصةَ المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسرّبت الى إبتسامته الغائضةَ، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحةً خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حياه بحفاوةً خاصةً، بعد أن ختم حوار الدوحةَ بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).



(الحجاز) انفردت بكشف قصةَ الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعوديةَ سياستها الكارثيةَ؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعوديةَ تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعةَ التحركات السعوديةَ المريبةَ إزاء الحكومةَ السوريةَ والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطةَ إطاحةَ نظام الرئيس السوري بشار الأسد.


من يتآمر على الآخر؟!

وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشةَ مستقبل سوريةَ ومصير نظام الحكم فيها!!).

أربع إتفاقيات أمنيةَ بين الرياض وواشنطن

السعوديةَ.. قلعةَ إستراتيجيةَ أميركيةَ

بدأت تلميحات متقطعةَ تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنيةَ في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويريةَ لقوة امنيةَ لحمايةَ المنشآت النفطيةَ في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخليةَ لصحيفةَ (الشرق الأوسط) السعوديةَ في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنيةَ تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلةَ الراهنةَ). وبحسب الصحيفةَ فإن



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمةَ العفو الدوليةَ في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعوديةَ. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامةَ، وأصبح عرضةَ لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملةَ.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبةَ، خاصةَ وأن طريقةَ الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونيةَ وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكةَ، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعةَ المصون الذي لم يعد له حرمةَ كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّةَ!

لم يتبق إلا القليل من مكةَ.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدّها سيطرةَ صنفين من البشر أتيا على روحها: جماعةَ بدويةَ قبليّةَ جاهلةَ لا تفهم معنى



أزياء حجازية